# حوارات وردود
# حول الشبهات الليبرالية
# في المجتمع السعودي

المؤلفون :

د. عبدالمحسن بن عبدالرحمن آل الشيخ

د. صلاح بن محمد آل الشيخ

د. جواهر بنت عبدالعزيز آل الشيخ

# جدول المحتويات

**المقدمة ..... ٥**

**الليبرالية: مفهومها ونشأتها ومجالاتها..... ٩**

نشأة الليبرالية.....١٩

مجالات الليبرالية .....٣٠

**اتباع الغرب هو طريق التقدم.....٤٨**

**التعدي على الحريات ..... ٦٤**

**التعليم الشرعي يدعو إلى العنف والإرهاب ..... ٧٢**

**إعادة قراءة النص ..... ٨٤**

**تنقص العلماء، والتشبيه بالكهنوت..... ٩٩**

**الوطنية والولاء للدولة السعودية.....١٠٧**

**سد الذرائع تضييق وتحريم للحلال.....١١٧**

**الليبراليون ووسائلهم في تناول قضايا المرأة السعودية..... ١٣٠**

**طرق الليبراليين في قضايا المرأة.....١٣٤**

**حجاب المرأة تشدد وتضييق عليها..... ١٣٩**

اختلاط النساء بالرجال ..... ١٤٩
المحرم وقوامة الرجل على المرأة ..... ١٦٢
عمل المرأة في جميع الأعمال ..... ١٧٢
قيادة المرأة السيارة ..... ١٨٤
القضايا الرئيسية للمرأة ..... ١٩٧
فهرس المصادر والمراجع ..... ٢٠٢

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين، وبعد:

ظهرت في السنوات الأخيرة كتابات ملأت الصحف وكثر ضجيجها حتى لا تكاد تقرأ إلا هذه الكتابات. تمحورت هذه الكتابات حول دعاوى الانفتاح والتحرر والإصلاح والتنوير ونبذ التطرف، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} [البقرة ١١-١٢]، وقال تعالى: {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} [النور ٤٠]، وجعلوا من الغرب نموذجاً فكرياً وعملياً لهم، (حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتُمُوهم)[١]. بل حتى في هذا الأمر لم يكتبوا عن تقدم الغرب الصناعي أو الإداري أو ما ينفع مجتمعهم، إنما كتبوا عن تمجيد الغرب ومفكريه وحياته فيما يتعارض مع الإسلام، باختصار أرادوا الرق الثقافي لأمتهم. بالطبع ليس كل كُتَّابِنا دعاة استرقاق ثقافي، إنما المقصد أولئك القوم.

[١] الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٧٣٢٠، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

زيَّن هؤلاء الكُتَّاب كتاباتهم بشبهات واهية، ولكنها ربما تؤثر على بعض من العامة والخاصة. تجرأ بعضهم من الغلاة وتحفظ آخرون، فهم ليسوا سواء، لكن هؤلاء وهؤلاء متفقون على إثارة قضايا من منطلقات تحررية (ليبرالية) لا تلتزم بالضوابط الشرعية، وهذه القضايا الفكرية أو العملية التي أثاروها بدعوى الإصلاح ليست جديدة في غالبها فقد أثيرت من عشرات السنين في بلدان أخرى وكتبها أصحاب توجهات ليبرالية في كتب ما زالت موجودة، تشابهت قلوبهم فتشابهت شبهاتهم.

جاء هذا الكتاب لكشف تلك الشبهات الليبرالية بمصداقية وانطلاقاً من الثوابت الشرعية. كما أن مثل هذا الكتاب يصعب أن تنشر مادته في صحافتنا المحلية لأنها في غالبها ذات توجه يخالف محتوى الكتاب، فجاءت الحاجة إلى نشر مادته في كتاب، عسى الله أن ينفع به، نسأل الله الهداية لضال المسلمين إنه سميع مجيب.

المؤلفون

١٤٣٥/٧/٢٠

# د. عبدالمحسن بن عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ

- **الليبرالية: مفهومها ونشأتها ومجالاتها**
  - نشأة الليبرالية
  - مجالات الليبرالية
- **اتباع الغرب هو طريق التقدم**
- **التعدي على الحريات**
- **التعليم الشرعي يدعو إلى العنف والإرهاب**

# الليبرالية: مفهومها ونشأتها ومجالاتها

بدأ مصطلح الليبرالية يردد كثيراً في السنوات القليلة الماضية في الأوساط الثقافية، بل وحتى في أوساط عامة الناس، فهو غريب على مجتمعنا لسببين رئيسيين: أنه مصطلح مستورد أولاً، وأنه مرتبط بكلمة غير عربية ثانياً. وصلت مصطلحات سابقة إلى الساحة الفكرية كانت أقل غرابة، مثل القومية والاشتراكية والرأسمالية وغيرها، لكن المشكلة كبيرة عندما لا تكون المصطلحات واضحة، مما ينتج عنها تصورات خاطئة، وأحكام جائرة أو متساهلة، لذلك فمن الضروري قبل البدء في الحديث عن الشبهات الليبرالية أن يتضح مفهوم الليبرالية بشكل جلي لا يدع مجالاً للخطأ أو اللبس.

الليبرالية كلمة مشتقة من كلمة (Liberalism) وتعني التحررية باللغة الإنجليزية. هناك عدة تعريفات متنوعة لليبرالية لكنها ليست متضادة (اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد)، حيث حاول المفكرون الغربيون أصحاب الشأن في هذا المجال وضع تعريفاتهم لها.

ومن تلك التعريفات:

١) عرفها المفكر الفيلسوف جان جاك روسو بأنها: الحرية المطلقة في أن نطبق القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا.

٢) عرفها الفيلسوف هويز بأنها: غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء.

٣) عرفها المفكر هالفي بأنها: الاستقلالية عن العلل الخارجية.

٤) عرفتها الموسوعة الأكاديمية الأمريكية بأنها: فلسفة سياسية تركز على الحرية الفردية.

كما وضع بعض المفكرين العرب تعريفات لليبرالية:

١) عرفها د. سيار الجميل بقوله: مذهب فكري وسياسي ينادي بالحرية المطلقة في الميدان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

٢) عرفتها الموسوعة العربية العالمية بأنها: فلسفة اقتصادية وسياسية تؤكد على الحرية والمساواة وإتاحة الفرص.

٣) عرفها المعجم الفلسفي بأنها: نظرية سياسية ترقى إلى مستوى الأيدولوجية، إذ تزعم أن الحرية أساس التقدم فتعارض الفلسفة المغلقة سواءً أكانت دنيوية أو دينية.

يرى الكاتب تركي الحمد أن (المنطلق الأساسي في الفلسفة الليبرالية هو أن الفرد هو الأساس، بصفته الكائن الملموس للإنسان، بعيداً عن التجريدات والتنظيرات ومن هذا الفرد وحوله تدور فلسفة الحياة برمتها وتنبع القيم التي تحدد الفكر والسلوك معاً)[1]. ويرى الكاتب يوسف أبا الخيل أن (الليبرالية تسعى إلى إقامة نظام متكامل من العدل الاجتماعي الشامل).

مما سبق ذكره من نقولات يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية حول الليبرالية:

١) أن الليبرالية فكرة قائمة على قيمة الحرية بصورة أساسية.

٢) أنها ترفض القيود من أي مصدر كانت.

٣) أنها تتمحور حول الفرد وتقدسه وتجعله أساس ومنبع القيم.

٤) أنها منظومة شاملة لنواحي الحياة.

يرى بعض الباحثين أن للعقل قيمة كبيرة في الليبرالية توازي قيمة الحرية. وعند التحقيق فإن الحرية أوسع مدلولا من

---

[1] جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٤٢٨/١/٣٠هـ الموافق ٢٠٠٧/٢/٨م

العقل، فالحرية تعني تحرير العقل والسلوك والأنظمة من المعوقات الخارجية، فيصير العقل مشمولاً مع غيره في مفهوم الحرية. أما مبدأ الفردية الذي يعد من ركائز الليبرالية فهو كذلك مشمول في مفهوم الحرية التي تشمل الفرد كما تشمل القوانين الحاكمة له وللمجتمع.

كتب جون ستيوارت مل وهو أحد أساطين الليبرالية، يصف الليبرالية ويلخص ويجمع المعاني الثلاث المذكورة سابقاً (الحرية والعقلانية والفردية): الحرية الليبرالية في جوهرها هي إطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطرق التي يرونها، طالما لا يحاولون حرمان الغير من مصالحهم، أو لا يعوقون جهودهم لتحقيق تلك المصالح، فكل فرد يعتبر أصلح رقيب على ثروته الخاصة سواء كانت هذه الثروة جسمانية أم فكرية أم روحية)، وهكذا فإنه يمكن النظر إلى الليبرالية أنها تقوم على الحرية إجمالاً وعلى الحرية والعقلانية والفردية تفصيلاً.

بعد الحديث عن مفهوم الليبرالية وتوضيحه، لنا أن نسأل عن علاقة الليبرالية بمبدأ لا يقل شهرة عنه، وهو العلمانية، فالعلمانية ترجمة الكلمة (Secularism) وتعني اللادينية، أو الدنيوية باللغة الإنجليزية، فالعلمانية تعني رفض تدخل الدين في شؤون الدنيا واقتصاره على العلاقة الشخصية للإنسان. وعلى ذلك فإن العلمانية أشمل لأنها تعني الفصل بين الدين

والحياة العامة بأي شكل من الأشكال، ليبرالية أو غيرها. والقومية أو الاشتراكية هي صور من صور إقصاء الدين عن الحياة العامة وهي بهذا شكل من أشكال العلمانية. كما تعتبر الليبرالية بأقصائها للدين عن الحياة العامة شكلاً من أشكال العلمانية. أي أن العلمانية تأخذ أشكالاً متعددة وواسعة تشمل الليبرالية والاشتراكية وغيرها. وهكذا فإن الليبرالية علمانية، ولكن لا يشترط أن تكون العلمانية ليبرالية وإن كان كلاهما يشتركان في حصر الدين في العلاقة الفردية الخاصة. أكد هذا المعنى د. عبدالله المدني[1]، حيث قال: (بحيث لا تكون هناك علمانية لن تكون هناك ليبرالية)[2]، وفي هذا السياق يقول تركي الحمد: (وفي العلاقة بين الليبرالية والأخلاق، أو الليبرالية والدين، فإن الليبرالية لا تأبه بسلوك الفرد طالما أنه لم يخرج عن دائرته الخاصة من الحقوق والواجبات، ولكنها صارمة خارج هذا الإطار)، وهذا المفهوم الحصري للدين أمام المفهوم الشامل لليبرالية كما يراه الكاتب تركي الحمد ومن على شاكلته من أصحاب الطرح الليبرالي يوضح لنا كيف يفهم هؤلاء الإسلام فهماً ضيقاً يتوافق تماماً مع الفهم الغربي

---

[1] مفكر ليبرالي بحريني.

[2] موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١٩٢، لمؤلفه د. صالح الدميجي.

للمسيحية ويتعارض كلية مع الفهم الصحيح الشامل، قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام ١٦٢]

بالرغم أن الليبرالية مذهب بشري وضعي يقوم على تقديس الإنسان في حريته وعقلانيته وفرديته ويرى الفرد مصدر القيم وليس الدين ويرى الدين عائقاً أمامه، كما سبق بيانه في تعريف الليبرالية من زعمائها، إلا أن بعض الكُتَّاب يحاولون بطريقة مضحكة أن يجعلوا الليبرالية متوافقة مع الإسلام، اللهم إلا أن يكون لديه تعريف خاص بالليبرالية غير ما سبق ذكره من مصادر أصحابها. وهذا يذكرنا بما كان يقوله الاشتراكيون قبل عقود من الزمان حيث زعموا أن الاشتراكية لا تتعارض مع الإسلام بل كتب بعضهم عن اشتراكية الإسلام. إن محاولة التقريب بين الإسلام والليبرالية تذكرنا بمحاولة التقريب بين الإسلام والمسيحية أو بين السنة والشيعة، محاولات تريد التقريب بين المتباعدين عقيدة وفكرا وعملاً. وفي هذا الباب قال الكاتب السعودي إبراهيم البليهي: (أنا مسلم أولاً ثم ليبرالي ثانياً يعني مسلم مبادئ وليبرالي آليات)[1].

---

[1] سلمان العودة من السجن إلى التنوير، لمؤلفه تركي الدخيل، ص٢٧٣.

وقد كان للشيخ صالح بن فوزان الفوزان[1] كلمته في هذا الأمر حيث قال: (الذي يريد الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي، هذا متمرد على شرع الله، يريد حكم الجاهلية وحكم الطاغوت) ثم قال: (والذي يقول إنه مسلم ليبرالي متناقض إذا أريد بالليبرالية ما ذكر، وعليه أن يتوب إلى الله من هذه الأفكار ليكون مسلماً حقاً)[2].

ربما نشأت تلك المقولات جهلا بحقيقة أن الإسلام يقوم على العبودية لله تعالى عقيدة وعبادة وخلقاً واجتماعا واقتصاداً وسياسية وغيرها، جعل هؤلاء بجهلهم الإسلام محصوراً في جانب العقيدة والأحوال الشخصية. وربما نشأت تلك المحاولات البائسة من خوف آخرين منهم من المواجهة الصريحة مع الإسلام، دين الأمة ومصدر تشريعها، فحاولوا التزييف على الناس ليس جهلاً ولكن تهرباً من الحقيقة. ويجمع هذين الفريقين أنهم تأثروا بالفكر الغربي وشعروا بالهزيمة الثقافية أمامه وأدى بهم الانبهار بالغرب إلى إتباع سبيله جهلاً أو قصداً.

---

[1] عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

[2] المرجع السابق، ص١٧٩.

إن التعارض الجلي بين الإسلام والليبرالية لا يعني أن كل الأمور التي دعت إليها الليبرالية مرفوضة في الإسلام، وكذلك الحال بالنسبة للمبادئ والأديان الأخرى من اشتراكيه أو مسيحية أو غيرها. فمشركو قريش أقروا بتوحيد الربوبية كما حكى القرآن عنهم ذلك في آيات كثيرة ولكن التوافق في أمر أو أمرين لا يعني أن المسافة بين المبادئ صارت قريبة فما زال هؤلاء المقرون بتوحيد الربوبية في عِداد المشركين الكفار، ولم ينفعهم ذلك الإقرار.

فالمبادئ المرفوضة قد تحوي أمراً أو أموراً مقبولة، لكنها قليلة بالنسبة للمرفوض ضمن تلك المبادئ أو المذاهب، كما أن منطلق تلك الأمور المقبولة المحدودة منطلق ربما لا يكون مقبولاً في أساسه وإن ظهر أنه مقبول في ظاهره، لعل إجراء الانتخابات مثال لما يمكن أن يكون مقبولاً من الليبرالية بضوابط شرعية.

تجدر الإشارة إلى أمر آخر مهم في مفهوم الليبرالية، وهو أن جزئيات المبادئ المنحرفة وإن كانت مرفوضة إلا أنها ليست سواء في درجة رفضها. فالليبرالية مرفوضة أساساً ولكن تتفاوت درجات رفض جزئياتها بحسب تلك الجزئية. فالدعوة إلى حرية المعتقدات ليست بدرجة الدعوة إلى الاختلاط. ونشأ من ذلك أن دعاة الليبرالية ليسوا سواء فمنهم المكثر ومنهم

المقل ومنهم الغالي ومنهم المعتدل ومنهم التابع ومنهم المتبوع ومنهم الجاهل ومنهم العالم ومنهم المنافقون ومنهم الواضحون.

ما سبق ذكره من مفهوم الليبرالية وتمحورها حول الحرية والعقلانية والفردية لا يعني أن الإسلام يرفض الحرية والعقلانية والفردية تماماً، ولكن يرفض أن تكون هي الحاكمة على الناس، فالحرية التي تعني التحرر من العبودية إلا لله تعالى هي الحرية الحقيقية من المنظور الإسلامي، أما الحرية التي تعني الانفلات من الحدود الشرعية كما هي بالنسبة لليبرالية، فهي في الحقيقة عبودية للشهوات على حساب العبودية لله تعالى، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات ٥٦]، والعقلانية التي تعني استعمال العقل في النظر في الكون والحياة الإنسانية وتطويرها في نطاق هذا العقل البشري وقدرته، هي عقلانية مأمور بها شرعاً في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (لقوم يعقلون) (لقوم يتفكرون)، كما أن العقل الصحيح لا يتعارض مع النقل الصريح، لكن ذلك لا يعني أن العقل البشري قادر على معرفة حقيقة الغيبيات ومعرفة ما يصلح من شرائع، فالإنسان محدود في عقله وبحاجة إلى توجيه من رب العالمين لما يصلح شأنه كله، {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ } [النحل ١٧]. وكذلك الحال بالنسبة للفردية، فالفرد مكرم ومعتبر في الإسلام وجاءت الشريعة الإسلامية بحفظ حقوقه ودفع الضرر عنه

دون أن يعني ذلك أنه أصبح إلهاً يتصرف كيف يشاء ويشرع ما يشاء، فالفرد جزء من مجتمع ينتمي إليه ويتأثر ويؤثر فيه، فهو محكوم بأمور دينه ومجتمعه يجب ألا ينساها في ظل الفردية، ويجب أن يؤديها ولا يضر مجتمعه بأي شكل كان (لا ضرر ولا ضرار).

بقي أن نشير إلى علاقة الليبرالية بالتغريب. من ناحية المفهوم يعرف التغريب بأنه جعل فكر وسلوك الناس منطبعاً بالفكر والسلوك الغربي. إذاً يمكن أن نقول إن هناك علاقة قوية بين مفهوم الليبرالية ومفهوم التغريب. فالليبرالية نشأت في الغرب وهي الآن أكبر مؤثر ثقافي على فكره وسلوكه، أي أن الدعوة لليبرالية ما هي في الحقيقة سوى دعوة للتغريب. وهذا يقودنا إلى الحديث عن نشأة الليبرالية بشيء من التفصيل في الفقرات التالية.

# نشأة الليبرالية

يذهب غالب الباحثين إلى أن نشأة الليبرالية كانت في أوروبا وظهرت مع ظهور حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) ضد الكنيسة المسيحية وأثمرت عن المذهب البروتستانتي (الاحتجاجي)، فالليبرالية جاءت كرد فعل مضاد للتسلط الكنيسي المسيحي البابوي، الذي حارب الأوروبيين وأخضعهم للإرهاب الفكري باسم الدين. تحالف هؤلاء القادة الدينيون مع القادة السياسيين لإخضاع الأوروبيين لظلام استمر لعدة قرون. كان تحريف الدين النصراني بالوثنية على يد اليهودي بولس، الذي كان يسمى شاؤول وادعى النصرانية ثم دعم القيصر قسطنطين ملك روما لتلك الانحرافات، سبب أساسي أدى إلى انتشار الدين النصراني المحرف بالوثنية الرومانية على حساب الدين المنزل على عيسى عليه السلام. ظهرت مع بداية القرن السادس عشر للميلاد حركة تحرر قوية نتيجة لتلك الممارسات التسلطية خاصة بعد ظهور ما سمي بصكوك الغفران، وهي بمثابة جوازات سفر إلى الجنة مدفوعة الثمن.

قاد مارتن لوثر وآخرون معه مثل جون كالفن، حركة احتجاجية ضد تلك الترهات، لكنها كانت حركات تحرر ذات صبغة دينية، أي أنها أرادت إصلاح المسيحية من داخلها. نعم،

هي حركة تحرر من القيود المفروضة من الكنيسة لكنها لم تصل إلى حد معاداة الدين نفسه، فهي بمثابة الخطوط الأولى التي مهدت الطريق نحو ظهور الليبرالية بشكلها التحرري العقلاني الفردي فيما بعد. ونستطيع القول أن حركة الإصلاح الديني هي التي قدحت الزناد لظهور الليبرالية وإن كانت تختلف معها في كثير من الأمور.

ازداد نفور الناس من الكنيسة مع مرور الوقت وبدأت حركة ظهور مفكرين مناوئين للدين. فظهر صراع كبير بين الدين ورجاله ومؤسساته وهؤلاء المفكرين، كان مجاله قطاعات الحياة المتعددة. جاءت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م لتقضي على ما تبقى من سلطان للدين على الحياة في أوروبا. كانت تلك الثورة عنيفة في رفضها للدين، وواجهته بتطرف لا يقل عن التطرف الكنسي نفسه، فخرجت أوروبا من ظلام الكنيسة إلى ظلام اللادينية، {ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} [النور ٤٠].

بعد الخلفية التاريخية السابقة عن أثر حركة الإصلاح الديني والثورة الفرنسية على نشأة الليبرالية، يمكننا القول أن الليبرالية مرت بمرحلتين:

الأولى: الليبرالية الكلاسيكية، حيث ركزت في هذه المرحلة على الحرية السلبية في المقام الأول، أي على مفهوم التحريرية دون تدخل الدولة في سلوك الأفراد الشخصي.

الثانية: الليبرالية المعاصرة، حيث دعت إلى شيء من تدخل الحكومة لتنظيم الشروط الواجبة لتحقيق الحرية الفردية.

ما سبق ذكره هو الحديث عن نشأة الليبرالية كحركة فكرية ومذهب له أصوله وخلفياته. أما نشأة الليبرالية كمصطلح، فيقول رونالد سترومبرج: (إن مصطلح ليبرالي أو ليبرالية لم تتداوله ألسنة بين الناس وتستعمله الاستعمال المناهجي قبل الثلاثينات من القرن التاسع عشر)[1]. نشأت حينئذ أحزاب سياسية في أوروبا على أسس ليبرالية في كل مكان من إسبانيا ثم بريطانيا. من جهة أخرى، حاول بعض الباحثين إرجاع نشأة الليبرالية اعتماداً على مجالاتها، فنشأتها في المجال السياسي مثلاً تختلف عن نشأتها في المجال الاقتصادي، وليس هذا مكان الحديث عن مجالات الليبرالية، حيث أن تلك المجالات ستكون في مكان آخر قادم من هذا الجزء.

رغم ما ذكر سابقاً من نشأة الليبرالية إلا أن هناك خلفيات تاريخية قديمة كان لها تأثير وإن لم تكن السبب الرئيسي في نشأتها. فبعض الباحثين يرى أن الفكر اليوناني الفلسفي وتمجيده المتطرف للعقل ساعد وأثر في ظهور الليبرالية، ربما لا

---

[1] موقف الليبرالية في البلدان العربية من محكمات الدين، د. صالح الدميجي، ص ٨٥.

يخفى علينا جميعاً أن هذا الفكر كان له أيضاً أثر على نشوء فرقة المعتزلة والتي قدمت العقل على النقل وجعلت النقل (الوحي) خاضعاً للإدراك العقلي، فأثر الفلسفة اليونانية العقلية استمر وأثر في التاريخ الإسلامي وفي التاريخ الأوروبي، وهذا يجعلنا نقول أن هناك شيئاً من التشابه بين الليبرالية والاعتزال (المعتزلة).

وهكذا، فإن الليبرالية غربية النشأة والأسباب والمحتوى الفكري. ولكن نظراً للسيطرة والنفوذ والاستعمار الغربي، فقد انتشرت الليبرالية في جميع أرجاء العالم إما بالترغيب أو بالترهيب. يقول سمير أمين، وهو يتحدث عن الخطاب الليبرالي: (وهذا الخطاب لا يعترف إلا بقيمة إنسانية واحدة وهي الحرية الفردية التي يختصر فيها الحداثة وفي مقابل ذلك يتجاهل أن هذه الحرية هي التي تسمح في إطار الرأسمالية، للأقوى أن يفرضوا قوانينهم على الآخرين)[1]. ويقول أيضاً: (تمثل الليبرالية اليوم تحدياً خطيراً للبشرية جمعاء، حيث تهددها بالإفناء الذاتي وفي الوقت نفسه لا تستطيع الليبرالية المعولمة ألا تدعم سيطرة الإمبريالية الأمريكية على مجموع الكوكب، باستتباع

---

[1] كتاب: LevirasLibera (الفيروس الليبرالي)، نقله من الفرنسية للعربية د. سعد الطويل، ص٦٢.

أوروبا، وإخضاع بقية العالم بوسائل وحشيه لم يسبق لها مثيل في التاريخ، للنهب دون استبعاد الإبادة الجماعية إذا لزم)[1].

ومع ذلك فهناك من أبناء العرب المسلمين من استوردها وكأننا في عالمنا العربي الإسلامي جزء من أوروبا. هل من العقل أن تسقي الصحيح دواء لأن المريض شفي منه. استوردها فريق من بني جلدتنا إما جهلاً أو قصداً. تقول الكاتبة مريم النعيمي، وهي تصف حال هؤلاء لتغيير الواقع: (فخ التغريب هذا نتيجة التسطيح وغياب الوعي أكثر من أن يكون قدراً جبرياً لا مجال للرفض أو المناورة فيه، تسرب القيم الوافدة والاستسلام لطوفان العولمة دون تبني موقف سليم يساعد على تجريد الاختيارات واستثمار الثورة الكونية في خلق مرحلة لتعزيز الهوية ودعم التراث لا يعد إلا أن يكون دليلاً على الإفلاس والعجز عن مواجهة الأخر)[2].

هل كنا في ظلام ونحن معنا نور الإسلام وهديه الرباني الذي قاد أمتنا ألف سنة من العزة والتطور، أم أنها الهزيمة

---

[1] المرجع السابق، ص ٩٩.

[2] كتاب: في سبيل التغيير، لمؤلفته: مريم النعيمي.

الثقافية والتبعية والاسترقاق المهين! نعم لسنا ضد الإنجازات البشرية النافعة ويجب أن نستفيد منها في بناء مجتمعنا، ولكننا ضد التبعية الفكرية والممارسات المعارضة لمبادئنا الإسلامية الرفيعة.

والآن نسأل كيف ومتى نشأت الليبرالية في مجتمعاتنا العربية..

بعدما عرفنا كيف نشأت في الغرب. هناك أسباب داخلية وأخرى خارجية ساعدت على وصول الليبرالية للعالم العربي، فالضعف في الالتزام بالإسلام على المستويات المختلفة عامل داخلي ساعد على تقبل الأفكار المناهضة للإسلام، وهذا يشمل انتشار العقائد المنحرفة المخالفة للكتاب والسنة، ضعف عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين خاصة في الطبقة الحاكمة، التنازع والحروب الداخلية، وقلة الاهتمام بالتنمية البشرية المتكاملة. إن كثيراً من الفارين من الخطأ ينشغلون بالفرار منه دون أن يعرفوا إلى أين يتجهون.

أما بالنسبة للعوامل الخارجية فكثير من الباحثين يرى أن حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٢١٣هـ، ١٧٩٨م كانت بمثابة بوابة التأثر العربي الإسلامي بالغرب. فقد شكلت ما يشبه الغزو الثقافي الذي أبهر مصر ثم العرب من بعدها وجعلت هذا الانهيار المادي خطوة في طريق الانهيار الثقافي. اصطحب نابليون معه المطبعة وأنشأ الدواوين وقام بأعمال

أخرى لم تكن مألوفة لدى أهل مصر. ورغم أن تلك الحملة لم تستمر سوى ثلاث سنوات حيث قاومها عامة المصريين، إلا أنها مهدت لما بعدها من مراحل نحو التغريب. يقول المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي عن دخول الفرنسيين لمصر: (وهي أول سنين الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتولي المحن واختلاف الزمن وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير، وحصول التدمير وعموم الخراب)[1].

بعد تلك الحملة بحوالي عشر سنوات، ظهرت حركة ابتعاث قادها محمد علي باشا إلى أوروبا. ليت هؤلاء المبتعثين أفادوا نهضة مصر علمياً وأدبياً، ولكن ما حصل هو أنهم جاءوا بالفكر الغربي لمجتمعاتهم، خير مثال على هؤلاء الذي صاروا دعاة تغريب لا دعاة تنمية رفاعة الطهطاوي.

جاء الاحتلال الأوربي ليكمل مسلسل تغريب البلدان الإسلامية وكان الاستعمار الغربي للبلدان العربية عاملاً خارجياً ساعد في زيادة تحرر تلك البلاد المستعمرة من دينها. نعم كانت

---

[1] كتاب: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لمؤلفه عبدالرحمن الجبرتي.

المجتمعات المسلمة مهيأة لقبول تلك التغيرات أي أنها كانت مهيأة للاستعمار الخارجي بسبب ضعفها الداخلي، بمعنى أن العاملَين الداخلي والخارجي تضافرا لنشر القيم والسلوكيات الغربية في البلاد العربية الإسلامية.

بعد نشأة الليبرالية في العالم العربي انقسم أصحاب هذا الفكر من العرب إلى قسمين وصارا إلى تيارين، تيار ليبرالي تغريبي واضح يعارض الدين الإسلامي، وتيار آخر عرض الفكرة بطريقة يزعم أنها لا تعارض الدين. تبنى الطرح الأول مجموعة من المفكرين في غالبهم غير مسلمين من نصارى مسيحيين موارنة في الشام وأقباط في مصر. أما الطرح الثاني فقد قام به مفكرون مسلمون في أصلهم، وليس هذا مجال الحديث عن حالهم بعد ذلك.

إن الناظر في نشأة الليبرالية العربية يرى أنها مثل محاولة زرع نبات استوائي في بيئة صحراوية، وكانت النتيجة أنهم لم يصلحوا الدنيا ولم يخدموا الدين. فبعد مرور أكثر من مائة عام على تمكينهم في بلدان عربية كثيرة لم يقدموا في الجوانب الدنيوية والتنموية سوى مزيد من الضعف والتخلف لمجتمعهم، وأنهم إذا كان لهم من إنجاز، إن صحت التسمية، فهو محاربة ومعاداة مخالفيهم من أصحاب المشاريع الإسلامية، والاستقواء بالغرب، حليفهم الأكبر لتحقيق ذلك

الإنجاز، بل ربما تحالفوا مع القوى الكبرى المستبدة في بلدانهم لإقصاء معارضيهم وهذا يعارض الحرية التي يزعمونها.

وصف الكاتب عبدالعزيز الطريفي الليبرالية الناشئة في البلاد العربية بأنها (ليبرالية شرقية مضطربة خديجة غير مكتملة)[1].

وقال عن أصحابها: (وكثير ممن يتدثر بالليبرالية الشرقية يقرأ النقد لليبرالية، ويتهم النقاد بعدم الفهم، ويقول: ليست هذه ليبراليتي، وهو صادق مع نفسه، لأنه أخذ من الليبرالية ما يحتاج إليه وجهل وتجاهل الباقي وأقنع نفسه بإطلاق الليبرالية على ما وصل إليه، وبقي في صراع مع كثير من ممارساتها ولوازمها، يشده الدين تارة إن كان ذا دين، والقبيلة تارة إن كان ذا قبيلة، وأنظمة السلاطين الصارمة، وكذلك العرف وعمل الناس، ويستقر في ذهنه ما رغبه الهوى وأذن به السلطان واستطاع تسوره من العرف والعادة والدين، وما عدا ذلك فيمسك عنه متى علم أنه سيخفق ولن ينال مراده)[2].
وقال عنها: (وقد انعكست العقلية الليبرالية المشرقية فأصبحت تفرض على الأفراد والمجتمعات ما تريد بواسطة

---

[1] كتاب: العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، لمؤلفه عبدالعزيز الطريفي.
[2] المرجع السابق، ص ٨٧.

السلطة ولو بالاستبداد والعقاب، وهؤلاء أخذوا تمثال الليبرالية الغربي ونصبوه منكسا على رأسه في الشرق، فالليبرالية الغربية تفرض على السلطة ما يريده الأفراد وليس بالعكس)[1].

وأخيرا فإن نشأة الليبرالية في البلاد العربية لم تبدأ في هذه البلدان متزامنة، فقد بدأت مبكراً في مصر والشام، كما سبق بيانه، لكنها تأخرت في بلدان أخرى مثل المملكة العربية السعودية. وهذا أمر طبيعي نتيجة لاختلاف الأوضاع التاريخية والسياسية والاجتماعية والشرعية. ولكن هؤلاء المتأخرين تاريخياً في الليبرالية استفادوا من سابقيهم فكراً وعملاً وجعلوهم رموزاً لهم يمتدحونهم وينشرون كتبهم ويتبعون سبيلهم، فصاروا قومين عروبيين وعالميين غربيين في تقديسهم لليبراليتهم، كما أن أولئك بادلوهم الثناء والتمجيد، بعضهم أولياء بعض.

ليس القول بوجود الليبرالية والليبراليين في المملكة العربية السعودية قولاً بلا دليل، واتهاماً بلا حجة، فيكفي أن نعرف أن شاكر النابلسي، وهو من أكبر رموز الليبرالية العرب، كتب

---

[1] المرجع السابق، ص١٢١.

مقالاً بعنوان (الليبراليون السعوديون بين الأمس واليوم)[1] ذكر فيه ما يقارب خمسة عشر اسما لكتاب سعوديين وصفهم بالليبرالية يملؤون الصحف بكتاباتهم، وهذه شهادة من رجل رمز لدى الليبرالية وليس معادياً لهم يتهمهم، كما أن الكاتب تركي الدخيل قال: (انتشر في السعودية تيار ليبرالي سعودي، وهناك الكثير من النخب السعودية الذين ينسبون أنفسهم إلى الليبرالية)[2]. لا أعرف أن هؤلاء الليبراليين عارضوا هذا الكلام من شاكر النابلسي كشاهد خارجي أو من تركي الدخيل كشاهد داخلي.

أما من القوم أنفسهم فتكفي شهادة أحد مشاهيرهم، إبراهيم البليهي، التي سبق نقلها حيث قال: أنا مسلم أولاً وليبرالي ثانياً، وقد سبق نقل رد الشيخ صالح الفوزان على هذا القول. إضافة إلى ذلك كله، فإن ثناءهم المتكرر على الليبرالية يبين أنهم لا يرون بأساً، على الأقل في كثير منهم، من الانتساب إلى الليبرالية.

---

[1] جريدة الوطن السعودية، العدد ٤٢٩٩ وتاريخ ١٤٣٣/٨/١٧هـ الموافق ٢٠١٢/٧/٧م.
[2] كتاب: سلمان العودة من السجن إلى التنوير، ص٧٣.

# مجالات الليبرالية

اتضح من تعريف الليبرالية الذي سبق ذكره أنها تقوم على ثلاثة أمور: الحرية والفردية والعقلانية، وهذه الأمور الثلاثة لها طبيعة الشمول، بمعنى أن كلاً منها يعطي نشاطاً إنسانياً واسعاً، فما بالك إذا اجتمعت كلها. لذلك، يصح لنا أن نقول أن الليبرالية نظام شمولي يصوغ فكر وعلاقات الإنسان بالحياة، فيؤثر على مجالات الاعتقاد والسلوك البشري. وهناك مجالات أكثر حيوية ووضوحاً في الليبرالية لها تأثير واسع حسب ما يرى مفكروها، وفيما يلي استعراض لهذه المجالات:

١) الليبرالية الفكرية (الثقافية):

وتعني أن لكل شخص الحق في التحرر من أي قيم ثقافية أو دينية وأن يفعل ويقول ما يناسبه ما دام لم يسبب ضرراً لأحد بذاته[١]. جاء المفكر الليبرالي كانت ينفي ما أسماه الحقيقة المطلقة ورأى أنه لا يصح لأحد أن يدعي امتلاكها، كما جاء المفكر جون هوك بنظرية التعددية الدينية تأسيساً على رفض

[١] ألف باء الليبرالية والشريعة الإسلامية، لمؤلفه عادل المعلم، ص ٦١.

**الحقيقة المطلقة. تعرف موسوعة لالاند الليبرالية الفكرية بأنها (مذهب فلسفي يرى أن الإجماع الديني ليس شرطاً ضرورياً لتنظيم اجتماعي جيد، ويطالب بحرية الفكر والعقيدة لكل الناس).**

**وهكذا، فإن مصطلح الحق والباطل يصير نسبياً وهذا يصطدم بالمسلمات الإسلامية العقدية، {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ} [يونس ٣٢]، وإذا كان للإنسان حرية الاعتقاد، فلا يصح بزعمهم أن يلومه أحد على ذلك فضلاً على معاقبته. والنتيجة من ذلك أن المجتمع يصير فوضوياً في عقائده، لا يلزم فيه الفرد إلا بما شاء من عقيدة، وهذا بدوره يقضي على الوحدة الفكرية أو العقدية للمجتمع المسلم، وبذلك تقضي على أهم روابطه ووشائجه.**

**ويدخل في ذلك أيضاً أن الليبرالية الثقافية لا تعترف بثبات في القيم، أي أن القيم نسبية تتغير مع الوقت، فما هو محسوب من القيم فيما مضى ليس بالضرورة هو كذلك الآن. يقول المفكر نيتشه: (الحكم الأخلاقي على الأفعال غير ثابت ومختلف**

باختلاف الناس)[1] ويقول الكاتب محمد اركون: (هناك حاجة ملحة الآن لبلورة أسس فلسفة جديدة من أجل التوصل إلى روحانية حديثة وإلى إطلاق أخلاق عملية محسوسة قابلة لأن تندمج في ممارستها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... نحن نعلم الأن كيف أن المبادئ الدينية المتعلقة بالموت والحياة والجنس والنسل والزواج والحرية الجنسية ومكانة المرأة في المجتمع قد أصبحت منتهكة أو حتى ملغاة تماماً من قبل التحديات البيولوجية الجديدة)[2].

وهكذا فإن هذه الليبرالية تنسف المبدأ الأخلاقي، وإن اعترفت فإنها لا تعترف إلا بالأخلاق التي تخدم الفرد وحريته. لذلك لا ترى أي كاتب ليبرالي يمتدح أخلاق العفاف أو بر الوالدين مثلاً، وأحسن حالهم أنهم يرونها شأناً خاصاً فردياً لا يصح الإشادة به مجتمعياً، ولكن دعوتهم هذه لإهمال العنصر الأخلاقي جعلتهم في حرج كبير أمام المجتمع سواء أكان مسلماً أو غير مسلم، فهناك حد من الأخلاق لا ينفك عنها الإنسان لأنها

---

[1] كتاب موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، لمؤلفه صالح الدميجي، ص ١١٠٨.

[2] الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، لمؤلفه محمد ممدوح العربي، ص ٢٧٢.

مغروسة في فطرته، وحاول الليبراليون حل هذه المشكلة، أعني مشكلة العنصر الأخلاقي في الليبرالية، لكنهم لم يخرجوا بشيء يذكر.

٢) الليبرالية السياسية:

تنطلق الرؤية السياسية لليبرالية من أن الفرد هو الأساس (الفردية)، وأنه قادر على صياغة القيم والمبادئ التي تحكمه وعلى اختيار نوع الحكم ونوع السلطة التي تحكمه، وذلك يتطلب عندهم سيادة الشعب، ووجود الانتخابات والبرلمانات وتعدد الأحزاب، وهذه المبادئ هي ما يسمى اصطلاحاً بالديمقراطية.

ومن الأمور المهمة التي نادت بها الليبرالية في المجال السياسي ما يسمى بالفصل بين السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية. ويعتبر المفكر الفرنسي مونتسكيو هو الذي جاء بهذه الفكرة، والسبب في هذا الفصل هو خوف تركز السلطات في جهة واحدة مما يؤدي إلى الاستبداد.

وجاءت الليبرالية كذلك بفكرة العقد الاجتماعي بقصد البحث عن أصل دنيوي مادي للعلاقة بين الحاكم والمحكوم وإبعاد أي أصل ديني لهذه العلاقة، يعني هذا أن اتفاقاً لتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم يُعقَد برغبة الناس وتوافقهم حسب ما يرونه دون أي مؤثر خارجي ديني أو غيره، ويعد جان

جاك روسو صاحب هذه الفكرة في كتابه (في العقد الاجتماعي).

وهكذا تلغي الليبرالية في جانبها السياسي أي سلطة دينية وتفصل الدين تماماً من السياسة، كما أنها تضعف أثر الحكومات على الأفراد في حرياتهم، ويرفض الليبراليون بشكل قاطع قيام حكومات دينية تستمد تشريعها من الدين في القضايا التي تنظم حياة الناس، ويدعون إلى قيام حكومات علمانية ويسمونها مدنية للتخفيف من حدة وقع المصطلحات في بعض البيئات، كما يدعون كذلك إلى قيام حكومات ديمقراطية، الشعب فيها مصدر التشريع، وليس الدين، لا يروق لهم إطلاقاً أن يقال (ألا له الخلق والأمر) (إن الحكم إلا لله) (أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون). ومشروعية بقاء السلطة تقوم في الليبرالية على مدى وفاء الحاكم بالأمور التنموية الدنيوية فقط، فقضية تطبيق الحاكم للشرع وإقامته بين الناس بشموله لقضايا الدين والنفس والعقل والمال والعرض (الكليات الخمس) لا تتوافق مع النظرة المادية الليبرالية، فالنظرية السياسية الإسلامية تقوم على حفظ الدين وصلاح الدنيا بينما لا ترى الليبرالية اعتباراً للدين في الجانب السياسي بل ترفضه تماماً وتقصيه عن هذا المجال.

٣) الليبرالية الاقتصادية:

جاء في موسوعة "لالاند" الفرنسية: (الليبرالية الاقتصادية مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية ولا وظائف تجارية وأنها لا يجب أن تتدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم)، ويقول منير البعلبكي فى موسوعة المورد: (ويطلق لفظ الليبرالية أيضاً على سياسة اقتصادية نشأت في القرن التاسع عشر متأثرة بآراء آدم سميث بخاصة، وأكدت على حرية التجارة وحرية المنافسة، وعارضت تدخل الدولة في الاقتصاد).

من أهم الشعارات التي ترفعها الليبرالية الاقتصادية: دعه يعمل ودعه يمر، وكذلك شعار: سوق حرة وتنافس حر ورغبات حرة، أي أنها قائمة في جانبها الاقتصادي على الحرية الاقتصادية المفتوحة في رأسماليتها من هذا الجانب.

ونستطيع كذلك أن نقول أنها تقوم على ثلاثة مبادئ[١]:

١) قداسة الملكية الخاصة.

---

[١] نقد الليبرالية، لمؤلفه د. الطيب بوعزة.

٢) حرية الفرد في التصرف في ملكيته.

٣) رفض تدخل الدولة في الواقع الاقتصادي.

لا يخفى أن هذه المبادئ فيها الكثير من الفردية والتحرر مع انعدام النظرة الأخلاقية، فالبحث عن الربح هو الهاجس الأكبر حتى لو كان على حساب الآخرين في معاشهم. نعم قد تؤدي هذه المبادئ إلى زيادة إنتاجية للمستفيد وتلبية لحاجات المجتمع، لكن لها نتائج كارثية حيث يأكل فيها القوي الضعيف والغني الفقير، مما ينشأ عنه وجود طبقات متفاوتة في المجتمع اقتصادياً، وهذا التفاوت غير المنضبط له تداعياته الاجتماعية الكارثية من الجرائم والسرقات وأشكال الفساد الأخرى.

أما من الناحية الإسلامية، فالأمر واضح التعارض مع المبادئ الشرعية التي تفرض النشاط المشروع أولاً وتفرض حقاً للفقير يجب أداؤه على الغني، بل إن هذا الأمر ليس مجرد حق مفروض فقط، بل هو ركن من أركان الإسلام (الزكاة). إن وسطية الإسلام في نظرته للمال يجعله يلبي فطرة الإنسان في التملك والتصرف الفردي، ولكنها في الوقت ذاته تمنعه من التملك أو التصرفات المسيئة للمجتمع بأي أشكال الإساءة، إنها الحكمة الإلهية التي يعجز عنها البشر، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} [التين ٨].

٤) الليبرالية الاجتماعية:

يغطي هذا المجال من مجالات الليبرالية القضايا المتعلقة بالعلاقات التي تربط أفراد المجتمع في قضايا الأسرة والعلاقات والنظم الاجتماعية. ترى الليبرالية الاجتماعية أنه لا سلطة دينية ولا غيرها على العلاقات الاجتماعية، فكل فرد يختار بكامل حريته نوع العلاقة التي يرغبها، ولا يصح أن يفرض عليه شيء، كما قامت الليبرالية بإضعاف القيم والعلاقة الأسرية التي تربط الرجل والمرأة وسائر أفراد المجتمع، فالزواج أمر شخصي، وعلاقة الرجل بالمرأة أمر شخصي، وعادات المجتمع أمر شخصي، أي أن الفرد حر في أموره ولا اعتبار للقيم الاجتماعية السائدة مهما كان مصدرها.

نعم للفرد بزعمهم أن يتبعها إن رغب، ولكن لا يصح عندهم أن تحد أي قوانين اجتماعية من حريته الشخصية.

نادى الليبراليون كذلك بالتسامح الاجتماعي ورفعوا شعار دعني أفعل ما أشاء، وسأدعك تفعل ما تريد، فصارت الروابط الاجتماعية لا قيمة لها بين أفراد المجتمع، بل حتى داخل الأسرة. قال الليبراليون كذلك بالعدالة الاجتماعية وإبعاد الفوارق بين فئات المجتمع، ورفعوا شعار تحرير المرأة من ظلم الرجل والمجتمع كما زعموا، وجعلوها حرة في كل شيء ولا سلطة لأحد عليها، بل إن موضوع المرأة صار أكثر المواضيع

الاجتماعية اهتماما لديهم. قالوا بنبذ القبلية ورفعوا شعار المساواة، بحسب نظريتهم ونظرتهم التي تساوي بين البشر في الحقوق والواجبات بغض النظر عن دينهم.

ومن الأمور التي جاءوا بها وصار لها صدى كبير ما يعرف بالمجتمع المدني. أرادوا بذلك أن المجتمعات يجب ألا تكون مجتمعات دينية يحكمها الدين في علاقاتها، أرادوا أن تكون التشريعات السائدة في المجتمع قائمة على القوانين البشرية. كما دعت هذه الليبرالية إلى قيام مؤسسات مستقلة في المجتمع تسمى بمؤسسات المجتمع المدني تكون مستقلة عن الحكومات وتقوم بخدمة شرائح مجتمعية مختلفة وزيادة الضغط على الحكومات.

وهكذا يظهر جلياً أن الليبرالية الاجتماعية تريد إقصاء الدين وأثره على المجتمع في تشريعاته الأسرية والجنائية والأخلاقية، تريد إيجاد قوانين وضعية تضعف أثر الدين وتبعده عن حياة المجتمع، إنها باختصار تريد ديناً بلا حياة اجتماعية، أو مجتمعاً بلا قيم دينية.

ملاحظات عامة:

١) هناك مفكرون ورموز لليبرالية في الغرب، مكان نشأتها، وضعوا أسسها واشتهروا كمنظرين لها، ولعل أشهر هؤلاء هم الثلاثة جون لوك (١٦٣٢- ١٧٠٤م) وجان جاك

روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) وجون ستيوارت مل (١٨٠٦- ١٨٧٣م)، أما في عالمنا العربي فهم مجرد مرددين لأفكارهم ومفسرين لها وربما حاولوا إضفاء الشرعية المحلية عليها، ويكفي أن تقرأ صحفنا في العالم العربي لترى سيلاً من الكتاب الليبراليين - ليس بالطبع كل الكتاب يعتلون منابرها - من السهولة معرفتهم في لحن الكتابة التي لا دور لها سوي تمجيد الغرب والتشكيك في المبادئ والأنشطة والتشريعات الإسلامية، قد يصل بهم الأمر إلى المحاربة الواضحة وليس التشكيك في الأنشطة الإسلامية، حسب ما تسمح به الظروف الكتابية في بلدانهم كما صرحوا بذلك. فقد كتب محمد علي المحمود[١]: (كما ندرك أن الخطاب الليبرالي هو الخطاب الوحيد - على الأقل إلى الآن - الذي مارس ويمارس نقداً جذرياً - قدر ما تسمح به الظروف - لأصول الخطاب المتطرف).

٢) التقارب بين الغرب والليبراليين والمفكرين الليبراليين العرب منطقي، لأن هؤلاء وهؤلاء دعاة للفكر نفسه، وهذا التقارب يؤدي إلى الدعم بأشكال متعددة، وأوضح هذه الحقيقة جون الترمان[٢] حيث كتب تحت عنوان "الليبراليون

---

[١] جريدة الرياض، العدد ١٤٢٢٧، بتاريخ ١٤٢٨/٥/٢١هـ.

[٢] مدير برنامج الشرق الأوسط في مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية بأمريكا.

الجدد عمالة تحت الطلب"[1]: (لقد زاد الدعم الغربي لليبراليين العرب لكن يبدوا أن ناتج هذا الدعم قد يحدث عكسياً) ثم قال: (إن اهتمام الغرب المتزايد بالليبراليين العرب ينذر بتأزم موقفهم ويجعلهم يوصفون بالعمالة) وقال أيضاً: (إن الناظر إلى الليبراليين العرب يجد السواد الأعظم منهم ينتظر أن تأتي الولايات المتحدة لتسلمهم مفاتيح البلاد التي يعيشون فيها)[2].

وللمزيد من هذا الدعم الغربي لليبراليين العرب يمكن الرجوع إلى تقرير مؤسسة راند، وهي من أكبر مراكز الدراسات في العالم، والذي صدر عام ٢٠٠٧م بعنوان (بناء شبكات مسلمة معتدلة)، ويوصي التقرير - باختصار - بأن يدعم الغرب التيارات العلمانية والليبرالية والعصرانية في العالم الإسلامي (سماها التقرير شبكات مسلمة معتدلة) أمام التيارات الإسلامية (سماها التقرير بالمتطرفة)[3].

---

[1] هذا المقال اختصار لمقال نشره في مجلة بولس ريفيو حول الموضوع نفسه ولكن بعنوان "الليبراليون العرب: الأمل الخادع".

[2] البيان، العدد ٢١٩، ذو القعدة ١٤٢٦هـ، ترجمة إبراهيم عرفة.

[3] شرح هذا التقرير د. باسم خفاجي في كتاب (استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام ... قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧م)، والذي صدر عن المركز العربي للدراسات الإنسانية، ربيع الثاني ١٤٢٨هـ.

٣) الإصلاح في نظر الليبراليين هو الإصلاح المأخوذ من النظريات الغربية، فيركزون فقط على إصلاح الفساد المالي والإداري ولا يتعرضون للفساد الأخلاقي والعقدي والاجتماعي. فلا تكاد تراهم يتحدثون مثلاً عن المخدرات أو المسكرات أو الزنا أو العنوسة أو الإلحاد أو عقوق الوالدين أو التبذير أو انحراف الشباب أو التنصير أو هروب الفتيات، وإذا نظروا إلى مثل هذه المشكلات، وهذا نادر، فهم يفسرون أسبابها ويضعون حلولها من وجهة نظر ليبرالية.

ومن العجب أيضا، أن الليبراليين العرب لا يهتمون بالإصلاح التكنولوجي والصناعي الموجود لدى الغرب، فلا ترى منهم أشخاصاً بارزين ولا ترى منهم كتابات ولا مشاريع مفيدة في هذا المجال، فليتهم أخذوا ما يفيد من الغرب، يبدوا أنهم مشغولون بقضية القضايا لديهم إفساد المرأة عن طريق الاختلاط والتبرج، وإذا كان لديهم وقت إضافي للكتابة فهو لمحاربة وإقصاء المشاريع الإسلامية النافعة للأمة، واتهام أصحابها بالتطرف والتشدد وسعوا إلى استعداء السلطات الحاكمة عليهم، كتب معالي د. محمود سفر[1] واصفاً من

---

[1] وزير الأوقاف سابقاً بالمملكة العربية السعودية.

يعارضون العودة الإسلامية: (وفريق قلق بل خائف من هذه العودة ويحذر منها ويصور أمرها كما شاء له فكره بأنها عودة إلى التزمت والتقوقع ويأخذ من تصرفات بعض الشباب دليلاً على قوله، فيكتب منتقداً ما يسميه بالتطرف والتشدد ويوزع الاتهامات ويصدر الأحكام ويستعدي الحكام)[1].

٤) تؤمن الليبرالية في جانبها النظري بالتعددية الثقافية والسياسية، كما سبق بيانه، وتعطي المجال لإبداء الآراء من منطلق احترامها للحرية الفردية كما تزعم، ولكن يبدو أن هذا الأمر موجود في بلاد الغرب فقط، أما الليبراليون العرب فهم لا يرون إلا رأيهم في غالبهم، لذلك فلا عجب أن تراهم لا يكادون يتركون مجالاً للرأي المخالف لهم في صحفهم التي يديرون تحريرها، وكأن الثقافة حكر على ثقافتهم.

أما بالنسبة للتعددية السياسية فهم لا يهتمون بها كثيراً، أقصد الليبراليين العرب، ما دامت السلطات تسمح لهم بنشر ليبراليتهم، بل ربما تحالفوا مع سلطات سياسية أبعد ما تكون عن الليبرالية السياسية من أجل إقصاء معارضيهم.

---

[1] كتاب: الإصلاح رهان حضاري، د. محمود سفر.

٥) لا يظهر أن الليبراليين يهتمون بالرأي العام والغالب لدى الناس، وهذا خلاف الديمقراطية التي تأخذ برأي الأغلبية، فهم يحبون أن يركزوا على النخبة المثقفة والحاكمة حتى يمرروا مشاريعهم، حتى لو كان غالب الناس يرفضونها. فمثلاً جميع الأمور التي يطالب بها الليبراليون في المملكة العربية السعودية لا تحظى بموافقة سوى فئة محدودة من الناس، ولكن ضجيجهم في الصحف والإعلام يحاولون به تكثير سوادهم وإيهام الناس بكثرتهم وقلة معارضيهم.

وللتأكيد على ذلك فقد أوضحت نتيجة استفتاء أجرته جريدة الرياض السعودية[١] أن ٨٩% من المشاركين بالاستفتاء (٣٩,٣٥٦ مشاركاً من أصل ٤٤,١١٨) يقولون بوجود مؤامرة غربية تستهدف المسلمين والعرب، وهذا بلا شك خلاف ما يراه الليبراليون من محبة وموالاة للغرب. كما أوضح موقع صوّت الإلكتروني[٢] في استفتاء حول تأييد المجتمع لليبراليين السعوديين أن ٣٤,٥٢٢ شخصاً من ٣٦,٤٣٩ مشاركاً (أي بنسبة ٩٥%) ضدهم (ولم يصوت من خارج السعودية سوى ١,٠٧٩ شخصاً). وأخيراً فقد أجرت قناة تلفزيونية محلية

---

[١] العدد ١٤١٩٩، بتاريخ ١٤٢٨/٤/٢٣هـ، الموافق ٢٠٠٧/٥/١٠م.
[٢] بتاريخ ١٤٣٣/١٠/٣هـ، الموافق ٢٠١٢/٨/٢١م.

سعودية استفتاءً بتاريخ ١٤٣٣/٧/٣هـ أوضح فيه ٩٣% من المشاركين (١,٤٥٩ مشاركاً من أصل ١,٤٩٨) بوجود مشروع تغريبي في السعودية وهذا مشروع لا يعترف به الليبراليون بل يرونه مشروعاً إصلاحياً.

٦) حيث أن الليبرالية فلسفة شمولية لجوانب النشاط البشري لها تطبيقاتها في الواقع، فإن الإقناع بها يعني الإقناع بكل أشكالها وتطبيقاتها في المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبهذا المعنى طبقت الليبرالية في الغرب، وهذا هو معنى المناداة بها، أما استعمالها للتغريب فقط مع إقصاء الآخرين فهذه ليبرالية بصيغة شرقية.

بقي هنا أن نشير إلى أمر منهجي في معرفة التوجهات الفكرية، وهو أن من ينادي بالليبرالية في مجال أو مجالين، دون أن يتبناها كفلسفة شاملة لا يسمى ليبرالياً، فالذي ينادي بالليبرالية الاقتصادية لكنه لا يؤمن بالليبرالية في المجال الاجتماعي مثلاً ليس ليبرالياً، بل يقال هو ليبرالي اقتصادي أو فيه ليبرالية. وهذا التفكير موجود لدى بعض الناس، فتراه يعجب بأمر من الأمور من مذهب معين دون أن يكون مؤمناً بالمذهب كله. ومثل هذا حصل في التاريخ الإسلامي فقد ترى رجلاً يقول بقول المعتزلة في قضية لكنه لا يقول بقولهم في كل القضايا التي خالفوا فيها أهل السنة فلا يقال عنه معتزليا بل

يقال فيه اعتزال. والأمر كذلك في القضايا التطبيقية العملية الجزئية، فربما يرى كاتب رأياً عملياً لا يتعلق بأصل فلسفي من أصول الليبرالية، فيوافق الليبراليين، وهذا أيضا لا يصح أن يطلق عليه من الناحية المنهجية بأنه ليبرالي. لكن الليبراليين يستفيدون من هذا وذاك في الجوانب التي يوافقونهم عليها.

٧) عند الحديث عن الشبهات نذكر قول الله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران ٧]. جاء في التفسير الميسر ما يلي: (فأصحاب القلوب المريضة الزائغة لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات المتشابهة وحدها ليثيروا الشبهات عند الناس كي يضلوهم بها ولتأويلهم لها على مذاهبهم الباطلة)[١]، والشبهات التي أثارها الليبراليون، منها ما يتعلق بالأصول العقدية مثل قضية اتباع الغرب وموالاته حيث ترتبط بعقيدة الولاء والبراء، ومنها ما يتعلق بأمور عملية مثل قضية الدعوة للاختلاط في العمل والتعليم. ولا يرجع هؤلاء إلى الراسخين في العلم من كبار العلماء بل يبحثون عن الشاذ من الآراء ليؤيدوا قولهم بأي شكل كان، وإذا لم يجدوا سارعوا إلى تأويل

---

[١] التفسير الميسر، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

النصوص وفق رغباتهم وتحولوا إلى مفتين شرعيين. أما فريق منهم، فلا يحتاج إلى ذلك كله بل يطرح شبهاته ويراها هي الحق ويرمي العلماء بالتطرف والتشدد إذا خالفوه.

٨) كل ما سبق ذكره عن الليبرالية ومبادئها ودعاتها في عالمنا العربي والإسلامي لا يبرر القول بكفر كل من دعى إليها دعوة كلية أو جزئية، فهناك فرق بين القول وقائله، فقد يكون القول كفراً ولكن لا يصح تكفير قائله بالتعيين حتى تتحقق شروط التكفير وتنتفي موانعه. وهذا الأمر بحثه علماء المسلمين فيما سموه بتكفير المعَيَّن، وليس هذا مجال التفصيل، فهو من اختصاصات علماء الشريعة وأهل القضاء. كما لا يصح أن ننفي أن منهم حريصين على نفع مجتمعهم، فليسوا كلهم أصحاب مقاصد سيئة وتغريبية، وحرصهم هذا لا يعني أن طروحاتهم سليمة ومناسبة وموافقة للدين، فسلامة مقصدهم لا تعني صحة قولهم. لكن هذا لا يعني ألا يرد على هؤلاء الليبراليين بالطريقة المناسبة، فبيان الباطل والدفاع عن الحق من أعظم الواجبات على القادرين خاصة إذا ظهرت وقويت شوكة المبطلين، ولكن يجب أن يكون الرد بالعلم والحجة والأسلوب المناسب ليناً وقوةً. أما النصح فيجب أن يكون بالرفق ومراعاة حال المنصوح، قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت ٣٤].

وفي ختام هذه المقدمة، أدعو كل من تأثر بالليبرالية كلياً أو جزئياً أن يراجع حساباته ويتفكر في عظمة الله وشمولية شرع الله تعالى، فلا يصح أن يترك المسلم هدى الله تعالى الذي أكمله لنا واختاره وهو العليم الحكيم ويطلب الهدى والصلاح والخير من مناهج بشرية غربية إن أصلحت أمراً أفسدت أموراً. نعم نستفيد مما لا يعارض ديننا في قضايا التقدم العلمي والإداري وغيره ولكن ليس بالتقليد الأعمى والاتباع المنهزم لما فيه معارضة لدين الله القويم.

كما أدعوا كل قارئ لهذه الكلمات ألا ينخدع بالشعارات التي يرفعها الليبراليون بدعوى التحديث والتطوير والإصلاح، فقد قام بها أصحابهم في بلدان عربية قبلهم وما زادتهم إلا ضعفا وفساداً وهواناً لنتذكر جميعا مقولة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، وإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).

وهذه الشعارات الليبرالية رافقتها شبهات كثيرة، أكثر أصحابها الضجيج حولها لتمريرها في عقول وواقع الأمة. وفي ثنايا هذا الكتاب كشف لأشهر هذه الشبهات الليبرالية، أسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم إنه سميع مجيب.

# اتباع الغرب هو طريق التقدم

لعل أعظم شبهة يبثها الليبراليون الآن في المجتمعات الإسلامية ادعاؤهم أن طريقنا للنهضة والاستقرار والقوة والتقدم يكمن في اتباع الغرب. صرح بذلك مفكر كبير معروف هو د. طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حيث قال: (علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب). سار الليبراليون المعاصرون على نفس الطريق وأعادوا اجترار تلك المقولة التي قيلت قبل مائة سنة تقريباً.

إذا أحسنا الظن بهؤلاء قلنا إنهم قالوا ذلك جهلاً بمقومات النهضة وأسبابها وبالظروف التي مرت على الغرب حتى انفصل عن الدين وسار نحو المدنية. لكن غالب هؤلاء الليبراليين يعرف حقائق الأمور وما قالوا مقولتهم تلك جهلاً، بل أرادوا قصداً أن يتركوا الدين حيث عميت قلوبهم وأشربت حب الغرب فمالوا إليه {وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً} [المائدة ٤١].

قبل الدخول في الرد على الشبهة ينبغي أن ننظر نظرة منصفة إلى الغرب والحضارة الغربية. فالحضارة الغربية السائدة

حالياً والتي نشرت قيمها وثقافتها في أنحاء العالم ليست بدعاً من الحضارات التي مرت على البشرية فهي كالحضارة اليونانية والفارسية والرومانية والإسلامية ينطبق عليها ويجري عليها سنن ثابتة لا تتبدل.

فهي قامت بجهود قوم أقوياء في إنتاجهم وجادين في حياتهم ومتعاونين في عملهم. زخرت أوروبا بمفكرين وعلماء وقادة نهضوا بها في مجالات الصناعة والإدارة والاقتصاد والهندسة والطب وغيرها، فكل الحضارات لابد لها من رجال أفذاذ بنوا مجدها وشيدوا صرحها وقامت الحضارة على أكتافهم وجهودهم المتميزة.

إن الإشكال الأكبر في الحضارة الغربية أنها قامت على خلفية صراع مع الدين المسيحي، وجاءت كرد فعل معاكس له ولمفاهيمه. لو أنها أفادت البشرية بأعمالها الرائعة وصناعاتها المبهرة في ظروف عادية وهادئة كما فعلت الحضارة الإسلامية، لصارت حضارة مدنية – دينية كما كانت الحضارة الإسلامية. كان لهذا الفصام بين الحضارة الغربية والدين المسيحي ما يفسره ولا يبرره من تسلط الكنيسة وباباواتها وعقائدها المنحرفة.

أما في الجانب الأخلاقي المتعلق بالتعامل مع الآخرين في هذه الحضارة فإن ذلك يتعلق بتعريفنا للأخلاق. فنحن المسلمين

نرى أن كل سلوك تجاه الآخرين أمر به الإسلام فهو خلق حميد، وكل سلوك تجاه الآخرين نهى عنه الإسلام فهو خلق سيئ. فالأخلاق لدينا ثابتة بنصوص شرعية غير قابلة للتطور أو التغيير. ولو قسنا السلوكيات المنتشرة بين أفراد المجتمعات الغربية بمقاييسنا الإسلامية، فإن فيها أخلاقاً حميدة وأخلاقاً سيئة، فالتحلل الأخلاقي في علاقة الرجل بالمرأة مثال على الأخلاق السيئة، والعطف على الفقراء مثال على الأخلاق الحميدة. نعم منطلقهم في تلك الأخلاق الحميدة ليس دينياً في الغالب بل هو إنساني بما لديهم من إنسانية. هذا بالنسبة لعامة الغرب، أما بالنسبة لقادتهم السياسيين فهم غالباً أصحاب منافع لا أصحاب أخلاق، يسيرون مع مصالحهم حتى لو عارضت بعض أخلاقيات مجتمعهم. فتاريخ الحضارة الغربية المعاصرة مليء بالممارسات غير الأخلاقية التي لا يرضاها نوع الإنسان، مثل جرائمهم ضد الشعوب الأخرى من الهنود الحمر وضد سكان البلدان التي استعمروها وأثناء حروبهم وما تحويه مستودعاتهم من أسلحة مدمرة ومهلكة. أما قادتهم الدينيون فمازالوا في ظلمات الشرك والخرافة رغم أن مجتمعاتهم لفظتهم، وما زالوا مأسورين بكره الإسلام على خلفية الحروب الصليبية.

نعم استفادت البشرية من إنجازات الحضارة الغربية كثيراً، ولكن الغرب في الوقت نفسه لا يتسامح مع القوى الصاعدة

التي تعارضه أو تنافسه ويحاربها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة دولياً. فترى الدول الغربية تتدخل في شؤون الدول الأخرى وتريد فرض قيمتها عليها وجعلت من مجلس الأمن وحق الفيتو وسيلة للقضاء على أي مشروع لا يرضيها. إن قوة الغرب العسكرية والاقتصادية جعلت من العالم سوقاً ومسرحاً لرعاياه، كما فرضت عليه عولمة غربية بالترغيب أو الترهيب. باختصار فإن الغرب حالياً يعتمد على حق القوة ويرفض قوة الحق. صحيح أن حياتنا الآن صارت أسهل ولكن هذه السهولة لم نصنعها نحن، فربما تذهب عنا بسهولة، لأنها جاءتنا بسهولة، وربما تصيبنا هذه السهولة بالخمول في الوقت الذي لا يعرف منتجوها الخمول. إن هذه السهولة مثل المخدر لنا، لا تشفي أمراضنا، بل ربما جعلتنا نفقد الوعي طويلاً.

يرى كثير من الكتاب أن القيم الغربية المعاصرة تقوم على أربعة مؤثرات متداخلة تشكلت منها حياة الغرب ونظرته للأمور. وهذه المؤثرات هي: الفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية والديانة المسيحية والثورة الصناعية الحديثة. أما أشهر هذه القيم الغربية فهي تدور حول الفردية والعقلانية والحرية وحقوق الإنسان وتطبيق القانون والديمقراطية والرأسمالية وتفوق الرجل الأبيض وامتلاك القوة والسيطرة والمادية.

تلك كانت إشارات إلى الحضارة الغربية وقيمها ومكاننا فيها. يصح أن نقول أننا مع الحضارة الغربية مجرد مستهلكين بلا وعي، متفرجين بلا إضافة.

هل يصح أن تقول بعد ذلك أننا محظوظون بالحضارة الغربية. هم يحق لهم أن يفخروا بها حسب اعتقادهم، ولكن لا يصح لنا بحال من الأحوال أن نفخر بها فضلاً عن تمجيدها وادعاء أنها طريق تطورنا.

رغم كل ذلك، فإن شبهة تقليد الغرب وسلوك طريقه تتردد على مسامعنا وفي صحفنا وإعلامنا، يرويها لنا سدنة الليبرالية وكهنتها. لقد حذرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من اتباع طريقة غيرنا بلا وعي، ووصف أولئك المقلدين بوصف يدل على حماقتهم (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)[1]. إن هؤلاء الليبراليين يريدون إدخالنا في حجر ضب مكتوب على بابه "بيت الغرب".

---

[1] الحديث (لتتَّبعنَّ سننَ من كانَ قبلَكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ حتَّى لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتُموهُ قالوا: اليَهودَ والنَّصارى؟ قالَ: فمَن. وفي روايةٍ فارسُ والرُّومُ قالَ: ومنِ النَّاسُ إلَّا أولئِكَ؟). المحدث: ابن تيمية - المصدر: مجموع الفتاوى - الصفحة أو الرقم: ١٦/٥٦٧ - خلاصة حكم المحدث: صحيح.

ومما يردده أولئك الليبراليون في إطار هذه الشبهة لخداع الناس قولهم إن رفض حياة الغرب مستحيل لأن كل صناعاتنا تأتي من الغرب. يريدون خلط الأوراق وخداع الأمة بهذا التلبيس. إن الاستفادة من صناعات وإنجازات الحضارات شيء وتقليدهم في سلوكهم وأفكارهم شيء أخر. فشراؤنا لسيارات مصنوعة في بلدان غربية لا يجعل هذه القطعة من الحديد تعمي بصيرتنا عن الهدى وعن معرفة الباطل، وليست عقولنا أسيرة ولا عقيدتنا رخيصة نبيعها من أجل أن ترتاح أجسامنا راحة محدودة بمنجزات وقتية صنعتها حضارات مادية.

نقول كذلك لهؤلاء الليبراليين لقد قلد كثير من المسلمين الحضارة الغربية واستوردوا قوانينها وطبقوها في بلدانهم فهل حصل لهم عزة أو تمكين أو تطور حقيقي؟ ألم يكن مصطفى كمال في تركيا مثالا على التغريب بدعوى التطوير؟ هل جعل من بلاده رقماً قوياً في العالم كما كانت طول تاريخها الإسلامي. أم أنه جعلها مجرد أداة في يد الغرب يصرفها كيف يشاء. ما زال الغرب يرفض انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي رغم ما قدمت له من تنازلات. ويبدو أن الأتراك أدركوا بعد خمسين سنة من موت مصطفى كمال أنهم كانوا مخدوعين فبدؤوا يعيدون البوصلة التركية إلى وضعها الصحيح.

نقول لهؤلاء الليبراليين ألم تقرؤوا قول الله تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة ١٢٠]، وقوله: {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ} [آل عمران ١٦٠]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ} [محمد ٧]، وقوله: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء ٩ ]، وقوله: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} [الأنعام ١٥٣]، وقوله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة ٥٠]، ألم يقرأ هؤلاء الليبراليون قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحب قوماً حشر معهم) ، وقوله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)[1] ألم يقرأ هؤلاء الليبراليون مقولة محدث الأمة وفاروقها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، وإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)، ألم يقرأ هؤلاء الليبراليون مقولة الإمام مالك إمام دار الهجرة: (لن يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها: كتاب الله وسنة رسوله)، ألم يطلع هؤلاء الليبراليون على عظمة وشمول شرائع الإسلام وحفظها للأفراد والمجتمعات في الدين والنفس والعقل والمال

[1] المحدث: الألباني - المصدر: صفة الفتوى - الصفحة أو الرقم: ٥٥ - حكم المحدث: صحيح.

والعرض. ألم يعلم هؤلاء الليبراليون أن الأمة المسلمة بقيت مدة ألف عام متمسكة بدينها وكانت سيدة الدنيا وكسبت احترام أوروبا التي يمجدونها. ألا يقرأ هؤلاء الليبراليون ثناء منصفي الغرب الذين يمجدونه على الإسلام الذي يريدون إقصاءه.

وأقول لهؤلاء الليبراليين ما قاله الله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف ١٧٩].

ماذا تريدون أيها الليبراليون من اتباع الغرب؟ هل تريدون تقدماً مادياً؟

هذا حسن، ولكن لماذا تربطونه بالاتباع القيمي؟ لو فرضنا جدلا أن التقدم المادي يتطلب الاتباع الثقافي، فلا أهلاً بتقدم مادي يقودنا إلى الكفر بالله وخسارة ديننا وآخرتنا.

أيها الليبراليون لا تظنوا أن الغرب سيسمح لكم بالتقدم المادي حتى لو كنتم على خطاه سائرون.

الغرب ينظر للمسلمين خاصة بنظرة دونية لا تنفك عن عقيدة الحروب الصليبية وعقدة تفوق الرجل الأبيض. إنه لن يسمح لكم إلا بالقدر اليسير الذي يضمن أن تسيروا في ركبه دون أن

يجعلكم أقوياء بأنفسكم من دونه. إنه لا يثق بكم حتى لو صفقتم له وسبحتم بحمده. إن القوي لا يحترم إلا الأقوياء.

يدعي الليبراليون أن بعض بلدان الشرق، مثل كوريا الجنوبية، تقدمت وتطورت لأنها حذت حذو الغرب، فنحن كذلك لا طريق لنا سوى ذلك. إن هذه الرؤية تسطيح ساذج، فوقوع ذلك في بلد لا يعني نجاحه في كل البلدان، فكل بلد لها طبيعتها وظروفها وما يصلح لبلد لا يعني صلاحه لكل البلدان.

ماذا أفادنا التغريب في تركيا أو تونس أو لبنان؟

ثم إن هذه البلدان الأسيوية أخذت بعوامل نجاح مادي عملي من تعليم وعدالة وانضباط وغيرها وليست هذه القضايا مستوردة من الغرب، بل هي قضايا فطرية معلومة التأثير موجودة في حضارات كثيرة، والإسلام دعى إليها وحث عليها.

إذن لم يبق لهؤلاء الليبراليين التغريبيين سوى الدعوة لمبادئ الغرب التي تخالف الإسلام، وهذا ما لا نوافقهم عليه.

ومما يطرحه الليبراليون في هذه الشبهة قولهم إن الحضارة كل لا يتجزأ، فلا يمكن حسب زعمهم أخذ شيء من الحضارة الغربية وترك شيء. ومعنى ذلك أنهم لا يوافقون على أخذ الجوانب المفيدة الموافقة لديننا وترك السيئ من الحضارة الغربية. فالجوانب العقائدية والأخلاقية مرتبطة بالجوانب

الصناعية والإدارية كما يقولون. وهذه النظرية قال بها المفكر الغربي أرنولد توينبي.

ونقول لهؤلاء الليبراليين، لماذا تفترضون هذا الترابط في الحضارة الغربية ولا تقولون بالترابط بين الأوامر الإسلامية. لماذا ترضون بالإسلام في العقيدة إن رضيتم وترفضونه في جوانب الاقتصاد والاجتماع والسياسة. الإسلام أوامر إلهية بعضها مرتبط ببعض. فالقرآن حين يتحدث عن قضايا اجتماعية واقتصادية مثلاً، يذكر ارتباطها بعقيدة المسلم وعبادته، قال تعالى في آيات الطلاق: {ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق ٢] وقال أيضاً في آيات الربا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة ٢٧٨]. وهذا أمر لا يمكن إحصاؤه في كتاب الله تعالى.

أما دعواهم بأنه لا يمكن أخذ جانب من حضارة الغرب وترك جانب، فإن التاريخ يعلمنا خلاف ذلك. فقد فتح المسلون بلاداً كثيرة ذات حضارات مادية عريقة كبلاد فارس والرومان. أخذ المسلمون ما أعانهم على حياتهم وما كان لهم سنداً في نشر دينهم وتحقيق مصالحهم، وتركوا ما عارض دينهم. وليست حضارة الغرب مختلفة عن تلك الحضارات. وفي هذه المسألة لا أظن أن يتصور أن بلاد المسلمين ستأخذ الحضارة الغربية

كلها بنصرانيتها وإلحادها وحريتها وتفسخها، فهذا أمر غير ممكن عقلاً. نعم يكون هناك نوع من التأثير يقل أو يكثر، ولكن ما يريده الليبراليون من الأخذ بحلوها ومرها مستحيل، فالمسلمون فيهم من محبة دينهم ما يمنع انسلاخهم كلهم عنه.

يثير الليبراليون كذلك في إطار هذه الشبهة أن الغرب متفوق علينا تفوقاً هائلاً في الجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية والإدارية والصناعية وغيرها ولا يمكننا أن نلحق به أو نواجهه. وعلى ذلك فلا خيار لنا سوى السير في ركبه والانصياع له. وهذه نظرة استسلامية تشاؤمية. ولهؤلاء نقول، إن الغرب لم يستسلم للدين المسيحي وثار عليه ثم دخل مع المسلمين في حروب كثيرة واستعمر بلدان إسلامية متعددة. لم يستسلم الغرب لعصور الظلام التي عاشها وأعاد ترتيب قوته حتى هزم المسلمين في إسبانيا بعد حكم دام ٨٠٠ سنة، وصبر حتى أعاد فلسطين لليهود بعد أن تركوها آلاف السنين. ألا تدعوننا أيها الليبراليون أن نقتدي بالغرب ونعيد أمجادنا ونرتب أوراقنا ونوحد كلمتنا. إن الغرب يدعو للعمل والإنتاج والتفكير والإبداع، فلماذا وأنتم المعجبون به تدعوننا للخمول والاستسلام والانصياع.

هذا من ناحية المحاجة العقلية، أما من الناحية الإسلامية فإنه لا يصح للمسلمين الخضوع لأعدائهم مهما كانت قوتهم.

نعم لا يواجهونهم في حروب غير محسوبة، ..لم يستعدوا لها، ولكن يجب أن يعوا قوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال ٦٠] وقوله تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران ١٣٩] وقوله: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران ١٤٠]، فالحضارات دول تأتي ثم تذهب، ولا يصح أن يكون ضغط الواقع المر سبباً يعني موتنا، بل يكون حافزاً لإعادة الحياة لنا. إن الإنسان الذي يمرض يسارع إلى البحث عن الدواء، ولا أظن أن الدواء يأتي من مصدر الداء، فلا يمكن للغرب مصدر الداء أن يكون اتباعه هو الدواء.

وفي نهاية الحديث عن هذه الشبهة تجدر الإشارة إلى الملاحظات التالية:

١) كل الحضارات التي شهدتها البشرية يكون بينها تدافع وعلاقات تتراوح بين المواجهة والتفاهم. ولكن لا يصح بحال أن يكتفي أناس بتمجيد حضارة أخرى ومحاولة استنساخها. والحضارة الغربية كان لها مواجهة مع الإسلام منذ قرون قبل وبعد ما نبذت الدين المسيحي. قادتها هذه المواجهة إلى الحروب الصليبية واستعمار العالم الإسلامي ونشر مبادئها في ربوعه. فأي تسامح يتحدث عنه الليبراليون! سيطر الغرب على العالم ثم قالوا لا داعي للمواجهة. قالوا ذلك من أجل أن

تستمر سيطرتهم ويجهزوا على أي محاولة لاستنهاض المسلمين. إن تصريحات قادة الغرب السياسيين والدينيين تظهر لنا مدى العداء الذي يحملونه على المسلمين ومدى حرصهم على إبعاد الإسلام عن المواجهة. أما عامتهم فهم مختلفون ولكل منهم رأيه، ولكن عند المواجهة لا خيار لهم غالباً سوى الاصطفاف مع قادتهم. جمع الكاتب جلال العالم في كتابه (قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله) تصريحات لقادة غربيين يظهر فيها كرههم للإسلام وخوفهم من عودته ومن نهضة المسلمين، مثال ذلك ما قاله إيوجين روستو[1]: (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي. إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي وفلسفته وعقيدته ونطاقه وذلك جعلها تقف معادية

---

[1] رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧.

للعالم الشرقي الإسلامي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها). وقال لورنس براون: (إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي). وقال جلادستون[1] أمام مجلس العموم البريطاني: (ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق). وصدق الله حيث يقول: {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} [آل عمران ١١٨] وقوله: {وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} [الممتحنة ٢].

٢) إن علاقتنا بالغرب يجب أن تقوم على ثلاثة محاور: محور المواجهة ومحور المسالمة ومحور الدعوة. فالمواجهة تعني الوقوف بكل الوسائل في وجه من يريد حرب ديننا أو احتلال أرضنا، وهذا هو جهاد الدفع. ومحور المسالمة يعني المعاهدة والتفاهم على أساس المصالح المتبادلة دون تنازل عن مبادئنا الإسلامية، خاصة مع ضعف المسلمين حالياً، فهي مداراة ليست مداهنة. ومحور الدعوة يعني دعوتهم لدين الله، خاصة

---

[1] رئيس وزراء بريطانيا سابقاً

بعض المفكرين المنصفين ومن عامتهم غير الممتلئين كرها للإسلام. والواجب أن نبتعد تماماً عن محور الاستنساخ الذي يريده الليبراليون، كما نبتعد عن محور العنف الذي يقوم به بعض المتطرفين من المسلمين من نبذ الحضارة الغربية تماماً أو مواجهتها عسكرياً في ظل ضعفنا المعاصر. يجب علينا أن نبدأ بإصلاح مجتمعاتنا وتقويتها بكل أنواع القوة، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال ٦٠]، ثم نفكر في جدوى جهاد الطلب.

٣) رغم التقدم الصناعي والإداري والاقتصادي والسياسي للغرب إلا أن المجتمعات الغربية تعاني من مشكلات كبيرة تحدث عنها بعض المفكرين الغربيين المنصفين. ومن العجيب من أمر الليبراليين أنهم لا يتحدثون إطلاقا عن تلك الأمراض والمشكلات بل لا يعرضون سوى تمجيد الغرب والدعوة لاتباعه. كما أن منصفي الغرب أيضا تحدثوا عن أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية سواء في الأندلس أو غيرها، وفي نفس السياق لا يتحدث هؤلاء الليبراليون عن شيء من هذا. يبدو أن إعجابهم بالغرب فاق إعجاب أبنائه به. إن هذا هو الانبهار الأعمى المتطرف، كيف نرجو من هو أعمى أن يرى النور، أو من هو متطرف أن يرى الحقيقة.

**وفي ختام هذه الشبهة، أدعو من في قلبه فكرة لوثة التغريب أن يحرر قلبه وفكره من أسر و رق العبودية لغير الله، أدعوه أن يراجع قناعاته ويسأل ربه أن يوفقه لرؤية الحق واتباعه، أدعوه أن يكون عنصر خير وبناء في مجتمعه وفق شرع الله ولا يكون معول هدم أو داعية سوء فيخسر دنياه وأخراه.**

# التعدي على الحريات

لا أظن أن هناك أمراً حاربه الليبراليون مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أشهروا في حربهم عليه أسلحتهم المختلفة من كذب ومبالغات وتنقص ودعوة إلى الإلغاء، واستعملوا كل جهة يملكون السيطرة عليها، خاصة في الجانب الإعلامي، والصحفي بشكل أكبر.

يرجع السبب في هذه الحرب الضروس من هؤلاء ضد هذه الشعيرة الإسلامية إلى أنها تعارض أكبر مبدأ تقوم عليه الليبرالية وهو الحرية، أقصد غير المنضبطة بالشرع. فالحرية لدى الليبراليين، كما سبق بيانه، لا تنتهي عندهم بحدود الأوامر الشرعية كما هو في الإسلام، بل تنتهي عندهم بأنك لا تلحق ضرراً بالآخرين، كما لدى الغرب. وهذا الضرر المقصود لديهم طبعاً لا يعني الضرر العقدي أو الأخلاقي، بل هو الضرر بمفهوم التعدي المادي على حقوق الآخرين والمجتمع. ربما يتطرقون لشيء من الضرر المعنوي بمعنى الاتهام الشخصي للآخرين، ولكنه يبقى شخصياً دون التفات إلى اعتبار القيم المجتمعية التي يحترمها المسلمون وينص عليها دينهم.

تجدر الإشارة أولاً إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلب شرعي جاء به القرآن الكريم في أكثر من آية، فقال

تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران ١٠٤]، وقال أيضاً: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [آل عمران ١١٠]، وقال سبحانه في ذم بني إسرائيل: {كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة ٧٩].

وفي السنة، يقول صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: (مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)[٢]. وضرب عليه الصلاة والسلام مثلاً رائعاً يوضح فيه أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحماية المجتمع، حيث شبه المجتمع بسفينة فيها ركاب أسفلها وأعلاها، وأن الذين بأعلاها لو تركوا من أسفلها يثقب السفينة لأخذ الماء بحجة عدم إيذاء من في أعلاها لهلكوا جميعاً، ولو منعوهم لنجوا

---

[١] الراوي: أبو سعيد الخدري - المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: ٦٢٥٠ - خلاصة حكم المحدث: صحيح.

[٢] الراوي: عائشة أم المؤمنين - المحدث: الألباني - المصدر: صحيح ابن ماجه - الصفحة أو الرقم: ٣٢٥١ - خلاصة حكم المحدث: حسن.

جميعاً. وهذا الحديث حديث عظيم يبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام النجاة للمجتمع من الهلاك الجماعي.

لا أظن أن هناك حاجة للإطالة في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الناحية الشرعية والمجتمعية، فالكتابات فيه كثيرة من العلماء والمفكرين والدعاة والغيورين قديماً وحديثاً، وضوابط هذا الأمر معروفة ومبسوطة في كتاباتهم.

وانطلاقاً من تلك الأهمية الجلية، فقد حرصت بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية على هذه الشعيرة، وأنشأت لها قطاعاً خاصاً هو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزودت هذا القطاع بالدعم المادي والمعنوي ليؤدي دوره في حفظ الدين والأخلاق. ودعم قادة هذه البلاد هذه الهيئة وجعلوا عليها مسئولين وغيورين، فقاموا برسالتهم كل حسب استطاعته، وبما يتوفر لديه من موارد رغم الكثير من التحديات خاصة من أصحاب الأهواء والأقلام الجاهلة أو الحاقدة عليها. وهذا أمر لابد لأصحاب الدعوة أن يواجهوه، قال تعالى في موعظة لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

رغم تلك الأهمية، ورغم ذلك الدعم، إلا أن هناك أقلاماً لا يسرها ذلك. وقد أوضح هذه الحقيقة رجل بارز من رجالات المملكة العربية السعودية، صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله، وكفاك به مطلعاً على حقائق الأمور. فقد قال رحمه الله في رده على سؤال عن الهيئة: إن هناك استهدافاً للأسف حتى من الإعلاميين للهيئة، فيلقطون السلبيات البسيطة حتى يسيئوا للهيئة. إن هذه الشهادة تلخص منهج أولئك القوم من الاستهداف أولاً والتلقط ثانياً والإساءة ثالثاً. وهذه المقابلة يمكن الرجوع إليها بالصوت والصورة في موقع يوتيوب وغيره.

إن هذه الشهادة تدل على أن معارضة الهيئة ومحاربتها ليست أمراً فردياً، بل هو من مجموعة إعلاميين يتواصون به ويكررونه ليل نهار للحط من قدر الهيئة. نعم ليس كل الإعلاميين كذلك، ولكن نسبة منهم ذات نفوذ تقود هذا التوجه، وهذا الصنيع منهم يتوافق مع توجههم العام لمعارضة كل مشروع دعوي أو شرعي والحط من قيمته، ومحاولة التشكيك فيه، وفي المقابل الترويج لكل فكر وتصرف وشخص يخدم توجههم الليبرالي.

إن أعظم شبهة لهؤلاء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضد الحرية الشخصية، ويقولون دعوا الناس وشأنهم، وحسابهم

على الله يوم القيامة. وربما قال قائل منهم: عليكم بأنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. وهذا أمر يدعو إلى الاستنكار من أناس مسلمين يقرؤون القرآن ويعلمون أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إذا كان التبرج حرية شخصية فلماذا أمر الإسلام بالحجاب. إذا كان ترك الصلاة حرية شخصية، لماذا جاء الأمر بعقوبة تاركها. إذا كان الزنا حرية شخصية، لماذا شرع حد الزنا. إذا كانت الردة حرية شخصية، لماذا شرع حد الردة. كل هذا وذاك يدل على أن الإسلام شرع عقوبات لمن يخالف النظام الإسلامي الإلهي، تماماً كما تشرع القوانين لمن يخالف الأنظمة العامة الأخرى. لو أنَّ إنساناً خالف نظام المرور أو نظام البناء ألا يستحق المنع والعقاب. لماذا لا يقال إن هذه حرية شخصية؟ أم أن هذا المصطلح يستخدم فقط لرد الأحكام الشرعية.

ثم إن مبدأ الحرية الشخصية مبدأ يحتاج إلى تفصيل، فإن كان المراد به الحرية التي ليس فيها عدوان على الشرع ولا على الناس، فنحن معه، مثل اختيار الإنسان لمجال دراسته أو نوع سيارته.

ومن الشبه التي أطلقوها ضد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولهم: إن الستر مطلوب وليس العقاب. وفي هذا يُقال: إن صاحب المنكر إذا عمله في بيته دون المجاهرة فليس للهيئة

عليه من سبيل. أما إذا أظهره وجاهر به فيأتي دور الهيئة في ردع المنكرات الظاهرة. أي أن المجاهر هتك ستر الله عليه فليتحمل ما ينشأ عن سوء عمله. ولكن ذلك لا يعني أنه إذا جعل من بيته وكراً للدعارة أو الفسق أو الخمور أو المخدرات فله ذلك. فهذا صار خطره متعدياً للمجتمع بذلك الصنيع.

إن الهيئة - حرسها الله - حريصة جداً على الستر حتى في الحالات التي فيها شيء من الظهور. فقد ذكر الرئيس العام للهيئة الشيخ د. عبداللطيف بن عبدالعزيز آل الشيخ أن ٩٨% من القضايا عولجت بالستر[١].

حاول هؤلاء الليبراليون في سعيهم للتشكيك بعمل الهيئة أن يروجوا لشائعة مفادها أن غالب الناس تعارض عمل الهيئة، وأنهم صاروا مكروهين، وأنهم في حالة احتكاك مع المجتمع. نقول لهم: إن كل الاستفتاءات التي جرت عن رأي المجتمع في الهيئة تدل على عكس مقالتكم. ففي استفتاء على موقع الوئام الإلكتروني حول إلغاء هيئة الأمر بالمعروف جاءت النتيجة أن ٤٠٠٤٣ صوتاً يؤيدون بقاءها (وهذه النسبة تشكل

---

[١] العدد ١٢٣ لمجلة الحسبة الصادرة عن الهيئة.

حوالي ٦٥% من المصوتين)، بينما أيد ٢١٧٩٦ صوتاً إلغاءها (وهذه نسبة تشكل حوالي ٣٥% من المصوتين).

أورد هؤلاء الليبراليون شبهة أخرى للتقليل من دور الهيئة فقالوا: إن جميع الدول الإسلامية ليس فيها جهاز لهذه الشعيرة، وهم مسلمون مثلنا. نقول لهم: إن تلك الدول هي دول إسلامية نعم، وسكانها مسلمون، ولكنهم مقصرون في القيام بهذا الأمر، ولدى تلك الدول الكثير من المخالفات العقدية في صور شركيات يقوم بها جهال بينهم، وإعلام فيه سفور ومخالفات أخرى. فليس الأمر أنهم فقط يختلفون عنا في أمر الهيئة، فنحن بلاد أكرمها الله بالحرمين وجاءت النصوص بفضلها وخصوصيتها كونها بلاد الحرمين ومحط أنظار المسلمين وقبلتهم، فلتكن بلادنا أفضلها من الناحية الإسلامية عقيدة وخلقاً. نعم لا ندعي لأنفسنا العصمة والكمال ولكن بلادنا السعودية قامت على الإسلام ودستورها ينص على أن القرآن والسنة مرجعها، ولا يصح تشريع ما يخالفهما. فهل هناك بلاد أخرى لها مثل هذه الفضيلة الكريمة. إننا نفخر بذلك، والواجب أن نعتز به وندعو غيرنا إليه لا أن نعمل على التخلص منه.

إن محبتنا لهذه الشعيرة الكريمة ودفاعنا عن الهيئة لا يعني أن رجالها معصومون من الخطأ. فمنهم من يخطئ كما يخطئ

غيرهم، ولكن صوابهم ونفعهم يفوق بمراحل كثيرة خطأهم وتقصيرهم. فالواجب الشرعي يجعلنا نقف في صفهم وندعو لهم ونتعاون معهم، وكذلك ندافع عن رسالتهم ومواقفهم إلا إذا تبين لنا خطأ واضح.

وبهذه المناسبة يجب ألا نسارع في تصديق ما يقال عنهم خاصة من المتربصين بهم في الصحافة وغيرها. وأدعو كل غيور منصف أن يزور موقع الهيئة على الإنترنت ليتعرف على إنجازاتهم ويطلع على أعمالهم الجليلة.

كما أدعو في آخر هذه المقالة أولئك المعارضين لهم أن يتقوا الله في مواقفهم وينصفوا أهل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالإنسان محاسبٌ على كلماته وتصرفاته، وسيقف أمام ربه ليلقى جزاءه.

إن المسلم الحق هو رجل أمر بمعروف ونهي عن منكر بحسب استطاعته، والهيئات جاءت للعمل فيما لا يستطيعه الفرد، لتقوم به بما أوتيت من سلطة. لا يليق بالمسلم الحق أن يعادي أهل الدعوة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فمعاداتهم ربما تؤدي إلى معاداة الدين نفسه.

إن الرجوع إلى الحق خير من الإصرار على الباطل في هذا الأمر، وفي كل أمر.. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.. آمين.

# التعليم الشرعي يدعو إلى العنف والإرهاب

أثار بعض الكُتَّاب تهمة في صورة شبهة، فاتهموا التعليم الشرعي في مناهج التعليم وحلقات تحفيظ القرآن الكريم أنها تدعو إلى العنف والتكفير وأنها أدت إلى خروج من قاموا بأعمال إجرامية وتخريبية في بلاد كثيرة من بلاد المسلمين وغيرها. إن ذكر هذه التهمة في كتاب يتحدث عن الشبهات هو لأجل الرد عليها سواء كانت تهمة، وهو الواضح، أو كانت شبهة.

صدرت هذه المقولة عن كُتّاب مسلمين في بلاد إسلامية، لكنها في الحقيقة ليست سوى تكرار لمقولة كتاب غربيين. وهذه عادة الليبراليين، فغالباً شبهاتهم أو اتهاماتهم ليست سوى صدى لمقولات صدرت عن الغرب الذي يتلقون منه مبادءهم. فقد كان فردمان الكاتب اليهودي الأمريكي، من أوائل من أطلق هذه المقولة وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

تتلخص هذه المقولة في ادعاء أن التعليم الشرعي (الديني) في المدارس والجامعات الشرعية وفي حلقات التحفيظ يدعو إلى الكراهية وإلى العنف وإلى التكفير وإنه يخرج إرهابيين يقومون بأعمال تخريبية. ويدعو أصحاب هذه المقولة إلى تقليص هذا التعليم أو إلغائه حسب ما تقتضيه الظروف. ودعوا كذلك إلى

وقف الدعم الحكومي والشعبي لهذا التعليم لأن أمواله تستخدم لتمويل الجماعات المسلمة المتطرفة.

أولاً وقبل الخوض في هذه التهمة، من المعلوم لدينا نحن المسلمين الفضل العظيم للعلم الشرعي عامة ولتعليم القرآن الكريم خاصة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[1] وقال عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه)[2]. لذلك حرص المسلمون في تاريخهم منذ بزوغ فجر الإسلام على العلوم الشرعية وجعلوها مقدمة على غيرها من العلوم، خاصة ما يتعلق بتعليم القرآن الكريم. وبذلك زكت نفوسهم وتطهرت عقائدهم واستقامت أعمالهم فصاروا خير أمة أخرجت للناس. نشر المسلمون هذه العلوم الشرعية في الدنيا، وبرز فيها أئمة كبار من عرب وغير عرب، حتى صارت الأمة المسلمة أمة علم وهداية. كان القرآن الكريم حجر الزاوية في هذه العلوم الشرعية فحرص المسلمون على نشأة أبنائهم عليه طول تاريخهم وبذلوا لذلك أوقاتهم

---

[1] الراوي: معاوية بن أبي سفيان، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٣١١٦.

[2] الراوي: عثمان بن عفان، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٥٠٢٧.

وأوقافهم. فخرجت أجيال قرآنية فتح الله لها قلوب أهل البلاد قبل أرضهم. كل ذلك من آثار العلم الشرعي والقرآن خاصة.

وعلى هذا النهج سارت بلاد الحرمين المملكة العربية السعودية حرسها الله، فاهتمت بتدريس العلوم الشرعية في مناهجها التعليمية، التعليم العام أو الشرعي. وكذلك فتحت حلقات ومدارس ودور تحفيظ القرآن الكريم، وجعلت الإشراف على جمعياته من ضمن أعمالها في وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، فانتشر العلم الشرعي وانتشر الاهتمام بالقرآن، والأرقام والإحصائيات تحكي ذلك. كما اهتم أصحاب القرار والمال في بلاد الحرمين خاصة بهذا الأمر، فجعلوا لحفظ القرآن الكريم جوائز ومسابقات على مستويات متعددة، كل ذلك تحت إشراف الدولة ومسئوليها وعلمائها - حفظهم الله.

إن أمراً مثل هذا الأمر لا شك أنه سيغيظ أعداء الإسلام، وسيتربصون حتى تأتي الفرصة لمحاربته. فجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتكون الذريعة التي ينطلق منها أولئك الأعداء لوقف هذا الخير عن الأمة. ومع الأسف سار بعض أبناء المسلمين خلفهم وصدقوا مقولتهم ورددوها، وحاولوا بكل وسائلهم تجفيف منابع العلم الشرعي والقرآني خاصة.

ولهؤلاء وأولئك أقول لقد تخرج من هذا التعليم والحلقات ملايين الطلاب ولم يكونوا مخربين ولا مفسدين، بل كانوا صالحين مصلحين. وقد صرح معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ عقب رعايته حفل الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على تأسيسها كأول جمعية في المملكة أنه لم يثبت على أحد استقام مدة طويلة على هذه الجمعيات أنه دخل في شيء من الأعمال الإرهابية.

هل ما قامت به زمرة محدودة من أصحاب العقول الضيقة والأفكار الضالة يرجع إلى هذا التعليم الذي يقوم على الكتاب والسنة. إن اتهام التعليم الشرعي بأنه سبب التطرف هو اتهام للإسلام نفسه، وهذا الاتهام ليس بمستغرَب من أعدائه في الغرب، ولكن أن يكون من بين المسلمين من يقول بذلك، فهذا الذي يؤسفنا أن يصل بهم الحال من التبعية إلى هذا المستوى.

هناك دول عربية ظهرت فيها أعمال تخريبية لم يكن للتعليم الشرعي في مناهجها نصيب يذكر، فليست المناهج سبباً لأعمالهم. إن وسائل التأثير عليهم متعددة من إعلام وأوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، فلماذا إذاً اتهام

العلوم الشرعية؟ إن النظرة المنطقية تقتضي أن تدرس الظاهرة من جميع جوانبها عن طريق متخصصين موثوقين ليعرف أثر هذه العوامل. فهناك من يرى مثلاً، وهو الكاتب باترك سل في مقال له في جريدة الحياة أن الغطرسة الأمريكية ودعمها للكيان الصهيوني هي أهم أسباب نشأة ظاهرة الإرهاب. ليت هؤلاء الكتاب المسلمين أنصفوا الإسلام وأداروا بوصلة الاتهام إلى مواقع أخرى محتملة كما فعل هذا الكاتب.

إننا لا ندعي أن تعليمنا على الوجه المطلوب في كل أموره، فنحن ندعوا دائماً إلى التطوير والاستفادة من الجديد. ولكننا نرد على من يدعي أن التعليم الشرعي في مناهجنا يؤدي إلى العنف والتطرف والغلو. إن التطوير الذي ندعو إليه يجب أن يقوم على أسس شرعية وتربوية سليمة، ولا يصلح أن يكون تحت الضغوط الخارجية أو الإملاءات الغربية أو بالأيادي الليبرالية. كما لا ننكر أن بعض أبنائنا وقع في أعمال إجرامية تحت طائلة نقص العلم الشرعي وليس بسبب العلم الشرعي.

ومن الضروري كذلك الإشارة إلى أن هذه الهجمة على التعليم الشرعي ليست منفصلة عن هجمات أخرى موجهة ضد النشاط الإسلامي الدعوي. فالغرب وأتباعه من الليبراليين قاموا بهجمات تشكيكية واتهامات ظالمة للأعمال الخيرية التي يقوم بها المسلمون في شتى بقاع الأرض. فالأمر ليس جهة

واحدة، بل هو مسلسل من الجبهات التي فتحها الغرب بما يملك من إعلام ومال ونفوذ عسكري وسياسي واقتصادي للقضاء على الدعوة الإسلامية التي انتشرت حتى داخل أراضيه.

ذكر المشككون ضمن ما ذكروه أن حجم التعليم الشرعي من مدارس التعليم العام كبير، ودعوا إلى تقليصه في مادة واحدة إتباعا لبعض بلاد المسلمين فيما يسمونه بالتربية الدينية. وعند التحقيق، فإن حجم المواد الشرعية في التعليم العام في المملكة العربية السعودية لا يتجاوز ٣٠% منها، والباقي يتجه نحو علوم اللغة العربية والاجتماعيات والمواد العلمية من رياضيات وكيمياء وفيزياء وأحياء. فهل هذه النسبة كبيرة؟ لا أعتقد ذلك، فليست نسبة طاغية بل أظنها منطقية متوازنة تحقق التوازن في بناء المتعلم الفكري والسلوكي، لأن تقليل هذه النسبة يعني تقليل ثقافته الشرعية مما يؤثر سلباً على فكره وارتباطه بدينه وتاريخه وحضارته.

ومما أوردوه كذلك للتقليل من أهمية العلوم الشرعية قولهم أنه لا حاجة إلى كثير منها في الحياة العملية. ولا أدري هل تفصيل المعادلات الرياضية والقوانين الفيزيائية والخواص الكيمائية يحتاجها المتعلم في حياته العملية العادية. إن الحاجة العملية الآنية ليست شرطاً لكل ما يعطى من معارف،

فهي تعمل على توسيع الأفق والتفكير، كما أنها تدل في جانبها الشرعي على عظمة التعليمات الشرعية وترابطها وشموليتها.

نعم لا يصح الإغراق في التفصيلات التي لا يستوعبها المتعلم والتي تصل إلى درجة تشتيت الذهن أو صعوبة الفهم عند مستوى التعليم الذي يكون فيه المتعلم.

لا يفوتني في ختام الحديث عن العلوم الشرعية، أن أشير إلى بعض الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع. في دراسة تحليلية قيمة أجراها الباحث سلمان محمد العمري في كتاب بعنوان (البيان في الدفاع عن القرآن.. رؤية استطلاعية تحليلية لحملات الهجوم على حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية) في ١٧٠ صفحة، تضمنت الدراسة المباحث التالية:

- فضل القرآن الكريم وأثره في حياة المسلم.
- دلائل العناية بالقرآن الكريم في بلاد الحرمين.
- حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، أهميتها ودورها في المجتمع.
- حملات الهجوم على جمعيات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، أسبابها وأهدافها وتأثيرها وآليات الرد عليها.
- أسباب الحملات المغرضة وتأثيرها وكيفية التصدي لها.

- أهم إنجازات جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ودورها في حفظ الشباب.

انتهت الدراسة إلى توصيات من أهمها:

- صياغة رؤية منهجية لآليات عمل الجمعيات.
- وضع استراتيجية لتدريب المعلمين والمشرفين والإداريين.
- ضرورة عقد ملتقيات دورية لرؤساء الجمعيات.

إن مثل هذه الدراسة تجمع أمرين أساسيين: الدفاع عن التعليم الشرعي - ممثلا في حلقات التحفيظ - ضد المشككين، والحرص على تطوير هذا التعليم برؤية شاملة تؤدي إلى تحسين الأداء. وأشار أخيراً إلى أن الذب عن حلقات التحفيظ ليس مسؤولية القائمين عليها وحدهم، بل هو مطلب شرعي يجب أن يشارك فيه العلماء والإعلاميون والتربويون وأولياء الأمور خاصة وأفراد المجتمع عامة، لأن فيه نصرة لكتاب الله ودينه.

كما اشتملت الدراسة المذكورة على استبانة لعينة وجهت لها أسئلة متعددة، وقد أظهرت نتائج هذه الاستبانة ما يلي:

- رأى ٦٠% من العينة أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من نزاعات وتفجيرات هي العامل الرئيسي لظهور الحملات ضد الجمعيات.

- رأى ٣٠% أن الجهل بالعلوم الشرعية هي الأرض الخصبة لمثل هذه الحملات.
- رأى ٧٠% أن لهذه الحملات تأثيراً محدوداً على المتعلمين.
- أشار ٨٢% إلى أهمية التصدي لهذه الحملات.

عُقد الملتقى الرابع لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٣٠هـ بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وطرح الملتقى ٢٩ بحثاً من خبراء ومتخصصين بشأن القرآن الكريم وكان عنوان الملتقى: جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ودورها في تحقيق الأمن.

أظهرت الأوراق وأبان الباحثون دور حلقات التحفيظ في حفظ الأمن العقدي والسلوكي والنفسي والاجتماعي. كما أوضحوا دورها في محاربه الغلو، ودعوا إلى صد الهجمات الشرسة عن تلك الجمعيات وبيان دورها الإيجابي.

قدمت الباحثة جمانة بنت بكر آل دخنان دراسة في رسالة ماجستير بعنوان (الدور التربوي لحلقات تحفيظ القرآن الكريم في مدينة الرياض من وجهة نظر أولياء الأمور)، بتاريخ ١٤٣٢/١٠/٢٣هـ. هدفت الدراسة إلى التعريف بالدور التربوي للحلقات ومدى تنميتها للجوانب المعرفية والأخلاقية والاجتماعية للدارسين من وجهة نظر أولياء أمورهم. اتبعت

**المنهج الوصفي المسحي حيث استجوبت ٤٠٠ ولي أمر وحللت بيانات المبحوثين. توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها أن الحلقات تقوم بدورها في الجوانب المعرفية والجوانب الأخلاقية والجوانب الاجتماعية لدى طلابها بدرجة كبيرة، ودعت إلى التوسع في إنشاء الحلقات ودعمها وإزالة العوائق أمامها. كما دعت إلى بث الوعي بين أفراد المجتمع بأهداف الحلقات وأنها من وسائل وقاية الأبناء من الانحراف.**

## د. صلاح بن محمد بن عبدالرحمن آل الشيخ

- إعادة قراءة النص
- تنقص العلماء، والتشبيه بالكهنوت
- الوطنية والولاء للدولة السعودية
- سد الذرائع تضييق وتحريم للحلال

# إعادة قراءة النص

من خصائص الدين الإسلامي أنه دين لكل الناس، دين نسخ ما سبقه من الأديان، دين لا يصح بعده دين، وكل نبي بعد نبيّ الإسلام هو كاذبٌ دعي، دين لا يقبل الله من عبيده ديناً سواه، ودينٌ القرآن الكريم معجزته الخالدة الباقية إلى يوم القيامة سالمة محفوظة من التحريف والتبديل.

ومعرفة هذا الدين، معرفة العقيدة التي تُعتقد وتُصدق وتُؤمَن، ومعرفة الشرائع والأحكام التي تطاع وتقبل وتحكَّم، ومعرفة الآداب والأخلاق التي تُرضى وتحمد وتسلك. كل هذه المعارف يأخذها المسلم من نصوص الكتاب والسنة. فهذه النصوص هي العمدة والأصل لكل استدلال وحكم، وكل قاعدة وفرع، وكل معرفة وعلم.

وكل دليل للأحكام ذكره العلماء يُستدل لصحة الاستدلال به من نصوص القرآن الكريم. فالسنة أصل ويستدل بها لقوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [التغابن ١٢]، وقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [الحشر ٧] ، وغيرها من الآيات. والإجماع يستدل للاستدلال به بقوله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً}

[النساء ١١٥]، وبحديث (لا تجتمع أمتي على ضلالة)[١]، والقياس بقوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [الحشر٢] وحديث (أرأيت لو تمضمضت)[٢]، وهكذا بقية الأدلة الشرعية.

ومن فضل الله تعالى على الناس أن القرآن، كلام رب العالمين، محفوظ من النقص والتحريف والتبديل، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر ٩]. وأن السنة، وهي قول رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره، قد سخر الله لها من يحفظها ويبلغها، من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جُمِعت ودُونت في دواوين وكتب، ومُيِّزَ الصحيح من الضعيف، وتلقتها الأمة بالإجماع والقبول والتسليم.

هذه النصوص الباقية في الأمة هي السبب في بقاء طائفة على الدين لا يضرها من خالفها وعاداها، وهي السبب في قيام

---

[١] الراوي: أبو بصرة الغفاري، المحدث: ابن عثيمين، المصدر: مجموع فتاوى ابن عثيمين، الصفحة أو الرقم: ٨/٦٤٩، خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف لكن يشهد لمتنه نص قرآني.

[٢] عن عمر بن الخطاب قال: هَشَشْتُ يومًا فقبَّلتُ وأنا صائمٌ، فأتَيتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ فقُلتُ: صنَعتُ اليومَ أمرًا عَظيمًا فقبَّلتُ وأنا صائمٌ، فَقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: أرأيتَ لو تَمَضمضتَ بماءٍ وأنتَ صائمٌ قُلتُ: لا بأسَ بذلِكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: فَفيمَ. المحدث: أحمد شاكر، المصدر: مسند أحمد، الصفحة أو الرقم: ٨٤/١، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

الحجة والدليل على المخالف والمعاند، وهي السبب في التوافق بين الكثير من المسلمين وإن تباعدت أوطانهم واختلفت لغاتهم، وهي الحصن الذي يفضح الأكاذيب ويرد الشبهات ويكشف الأباطيل، وهي الفيصل الذي يحكم بين المختلفين والمتنازعين.

هذه النصوص من آمن بها وصدقها وحكَّمها وارتضاها واستسلم لها وتمسك بها، فهو على خير وعلى الطريق المستقيم، قال الله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء ٩]، وقال تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم: {وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى ٥٢]. فكلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم هدى وبيان للحق والطريق المستقيم.

الدين اليهودي والدين النصراني وغيرهما من الأديان، ضاعت وبُدِّلت وحُرِّفت نصوص وحيها، فالتوراة والإنجيل حرفت وبدلت بيد أحبار سوء ورهبان، قال تعالى: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء ٤٦]، وقال تعالى: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران ١٨٧]. ولو سلمت من التبديل لما انحرف أتباعها عن التوحيد إلى الشرك، وإلى تحريم الحلال وتحليل الحرام، وإلى تكذيب خاتم الأنبياء وعدم اتباعه، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد} [الصف ٦].

وأعداء الدين الإسلامي من كفار ومرتدين، وزنادقة ومنافقين، منذ ظهور الدين وحتى هذا اليوم وإلى يوم القيامة، في عداوة وحرب على الإسلام وأهله، قال تعالى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ} [البقرة ٢١٧]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ} [آل عمران ١٤٩]. حروب فكرية، وحروب اقتصادية، وحروب قتال وغزو واستعمار.

فهم يُكذِّبون القرآن والسنة، وينكرون ويجادلون، فكفار قريش قالوا عن القرآن شعر، وقالوا يعلمه بشر، وقالوا أساطير الأولين. وفي زمن ومرحلة جمع السنة وتدوينها وتنقيحها، حاولوا دسَّ فيها ما ليس منها، بنسبة ما يكذبونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتصدى علماء الحديث لهذا الكذب والتدليس، وأسسوا علما لم يُسبقوا إليه لتحقيق معرفة أسانيد الأحاديث، من خلال معرفة رجال السند في ذواتهم، دينهم وحفظهم وعقلهم وأدبهم وحياتهم، ومعارفهم وعلاقتهم بمن رووا عنه ورووا له، شيوخهم وتلامذتهم. فنقحت الأحاديث ومُيِّزَ بين الصحيح والحسن والضعيف، حتى وصلت

لنا صافيةً نقيةً وكأنَّا عايشنا الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذنا الدين منه.

الليبرالية الظاهرة، وهي التي تلتزم الفكر الليبرالي الصريح، كما أسَّسه مؤسسوه وتتابع عليه مفكروه، ترفض ولا تقبل استسلامَ وانقياد الإنسان للنصوص الإلهية المنزلة، فالإنسان هو الحاكم المختار لما يناسبه من قواعد وأحكام، وهو من يختار ما يناسبه فيما يخص نفسه لحياته، والجماعة تختار ما يناسب الأكثرية منها فيما يخص الجماعة من أحكام. تقول الموسوعة الأمريكية الأكاديمية: (إن النظام الليبرالي الجديد بدأ يضع الإنسان بدلاً من الإله في وسط الأشياء، فالناس بعقولهم المفكرة يمكنهم أن يفهموا كل شيء، ويمكنهم أن يطوروا أنفسهم ومجتمعاتهم عبر فعل نظامي عقلي)[1].

فالليبرالية لا تقبل تقديس النصوص، والتسليم بها، والاستسلام لها. ولكن التقديس للعقل البشري وما ينتجه، فمن أُسُسِ الليبراليةِ العقلانيةُ. ولا تتحقق العقلانيةُ في حكمهم إلا بالاستغناء عن كل مصدر للوصول إلى الحقيقة ما

---

[1] موقف الليبرالية في البلاد العربية / ص ١٠٢.

عدا العقل البشري[1]. وقد كانت الليبرالية في أصولها ونشأتها الأوروبية تواجه نصوص الإنجيل والتوراة، وفيهما من التحريف والتبديل، والتناقض والتضاد، مع احتكار فهمه وتفسيره على القساوسة والرهبان. فصار سهلاً على دعاة الفكر الليبرالي نقد النصوص وتخطئتها لاحتوائها على الكثير من الخطأ والزلل. يقول ليكونت: (إن ما أضافه الإنسان إلى الديانة المسيحية، والتفسيرات التي قدمها، والتي ابتدأت منذ القرن الثالث بالإضافة إلى عدم الاكتراث بالحقائق العلمية، كل ذلك قدم للماديين والملحدين أقوى الدلائل المعاضدة في كفاحهم ضد الدين)[2].

ولأنَّ مثل هذا التقديم والطرح الليبرالي الصريح حول النصوص الشرعية في مجتمع مسلم سيواجه حتماً بالرفض له، من قبل الأفراد والمجتمع، لأنه لن يستطيع أبداً أن يجد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ما يناقض العقل الصحيح، ولا الحقائق العلمية الجديدة، بل فيهما ما يثبت صدقه وإعجازه. وسيواجه أيضا أصحاب هذا الطرح المسائلة والمحاسبة من قبل الدولة والقضاء، فهو فكرٌ مضادٌ للدين

---

[1] أنظر الليبرالية في السعودية والخليج/ ص٥٧.

[2] الدميجي / ص ١٤٠.

بشكل ظاهر صريح. فالتشكيك بصدق القرآن، وبمصدر القرآن، وصحة القرآن، كفر صريح. ورفض القرآن ورده وعدم قبوله والتسليم بصحة أخباره وأحكامه ووعده ووعيده ردة عن الدين توجب العقوبة الشرعية.

فكان لزاماً على شذاذ الفكر الليبرالي المحلي سلوك مسلكٍ متخفٍ لتحقيق ذات الهدف، وهو إبعاد النصوص الشرعية أن تكون حاكمةً مُتَّبعة، ولو بقيت في نفوس الناس مقدسةً معظمة. يقول الجابري: (لا الوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهنية ولا درجة النضوج لدى المثقفين أنفسهم يسمح لهذا النوع من الممارسة الفولتيرية للنقد اللاهوتي، ولا السياسة تسمح، وبطبيعة الحال فالإنسان يجب أن يعيش داخل واقعه لا خارجه حتى يستطيع تغييره)[1]، ويقول النويهي: (من الخطأ عدم تقدير مدى سيطرة الدين على عقول المؤمنين به، وهم كثرة الناس، وأن هذه الكثرة ليست مستعدة للتنازل عن معتقداتها الدينية)[2].

---

[1] موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين / ص ٢٥٦

[2] موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين / ص ٢٥٥

فكان المخرج والمسلك هو دعوتهم إلى ما سمَّوه (إعادة قراءة النص)، أو (القراءات المعاصرة للنص)، ومعناه مراجعة فهم جميع النصوص الشرعية: نصوص القرآن، ونصوص السنة، المقدس والتراث كما يسمونهما. فصار من مبادئهم (إخضاع المقدس، والتراث، والتشريع، والقيم الأخلاقية، للنقد العميق المؤسس على العقلانية)[1]. وهو مسلكٌ صعبٌ وعرٌ لابد لهم من سلوكه لترويج فكرهم، وإسماع كلامهم، وتسويق كتاباتهم، مع السلامة من التهمة والتكفير.

وروجوا لهذه الدعوة تحت شعارات، منها: ضرورة البحث والتحليل، والدراسة والتحقيق، وشعار ضرورة مراجعة الأحكام لتغيرها بتغير الزمان، وشعار تساوي الناس في حرية واستقلالية الفكر، وأنه لا كهنوت في الإسلام، ففهم النصوص وتفسيرها حق مشاع لكل إنسان.

واعتنوا بهذه الدعوة وعوَّلوا عليها لهدم أصول الإسلام، فكتبوا لها المقالات الكثيرة، ونُشرت بكل أسف في صحفنا، وألفوا فيها الكتب، وطبعت وزينت ووزعت، وعقدوا اللقاءات والحوارات مع أصحاب هذا الفكر في الإذاعة والقنوات

---

[1] الليبرالية في السعودية والخليج / ص ٧٣

التلفزيونية. وهو فكر لم يبتكروه بعقولهم، ولكن قلدوه اتباعاً لأهوائهم، دون إعمال لعقولهم وتمحيص له. ومن أمثلة هذا الغثاء ما كتبه أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، وكتبه أبو زيد: نقد الخطاب الديني، وكتبه الجابري: نحن والتراث، وكتبه شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، وغيرها كتبٌ كثيرة، لا تنهض عند التحقيق، ولم تُبنى على استدلال صحيح ولا عقل سليم، ولكنْ زبدٌ وسراب. قال الله تعالى: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ} [الرعد ١٧].

وعمدة الليبرالية المستترة في هذه الدعوة لمراجعة قراءة وتفسير النصوص الشرعية، أن تفسيرَ الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والعلماء، تفسيرٌ بشريٌ، يقبل الخطأ والصواب، وقد تقادم عليه الزمن، وتجددت علوم ومعارف، وأدوات ووسائل، فيكون تفسيرُهم صالحاً لزمانهم، ناقصاً قاصراً لزماننا. يقول محمد خلف الله: (إن تفسير رسول الله للقرآن قول بشر، ومعنى قول بشر: أنه غير ملزم، أي يؤخذ منه ويترك، فلا يعقل أن يكون قول بشر له صفة الإلزام)[١]. ويقول

---

[١] موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين / ص ٣٢٢.

الهالك عزيز العظمة: (سئلت في تجمع إسلامي بماليزيا، هل تعني بكلامك يا أستاذ أن النبي لم يفهم القرآن على نحو جيد؟ فأجبت: بلى، هو فهم القرآن، ولكن ضمن الحدود العقلية والثقافية والذهنية لعصره)[1]. ويقول محمد المحمود وهو ينشر بكل أسف غثاءه في جريدة الرياض: (اكتشفت بعد فترة خداع لم تطل، أن بؤس حاضرنا ليس إلا امتدادا لبؤس ماضينا.. اكتشفت أن أسلافنا كانوا رجالاً مثلنا، بل أقل منا في كثير من الأحيان. اكتشفت أن أخطاءهم كانت كبيرة جداً إلى درجة تفوق تصوراتنا، وأنه لا يمنع من رؤيتها إلا وهم القداسة الراسخ)[2].

هذا المسلك والمنهج، في تفريغ النص من معانيه الظاهرة، التي تُفهم مباشرة من اللغة العربية، ومعانيه التي فسَّرها من نزل عليه النص، ومعانيه التي فهمها من عايش وتلقى النص. ثم تأويل النص لخدمة المعنى الذي يشتهونه وينتقونه، وإن خالف المعنى الظاهر للنص، وخالف تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وخالف تفسير الصحابة والقرون المفضلة، وخالف تفسير أئمة التفسير، وخالف قواعد وأصول اللغة والتفسير.

---

[1] المرجع السابق / ص ٣٢٢.

[2] هل ماضينا بئيس؟ وهل أسلافنا، الصحابة والقرون المفضلة، أقل منا بكثير؟

هذا المسلك سبقهم إليه الفرق الباطنية التي ظهرت في مراحل التاريخ الإسلامي، وجعلوا للنص ظاهرا وباطنا، فالظاهر هو ما يفهمه العربي من النص، والباطن هو ما يفهمه الخاصة من أتباع هذه المذاهب الباطلة. والباطن عندهم هو المقصود المراد من النص. وهذا المعنى الباطن للنص هم من يختلقه ويبتدعه بما يوافق مذاهبهم وأهوائهم وأغراضهم. فالرافضة[1] تفسر كثيراً من آيات القرآن تفسيراً باطنيا ضالاً منحرفاً، لا يؤيده نقلٌ ولغة ولا عقل، وروجوه بنسبته كذباً وزوراً لجعفر الصادق[2] - رحمه الله تعالى - ولباقي أئمتهم. ففسروا قوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} [الصف ٨]، يريدون ليطفؤوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. وقوله تعالى: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف ١١٠]، فالعمل الصالح: المعرفة بالأئمة، ولا يشرك: التسليم لعلي فلا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له. وقوله تعالى: {وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ} [الإسراء ١١٠]، لا تجهر بولاية علي ولا ما أكرمته حتى آمرك بذلك. وقوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل ٦٨]، النحل هم الأئمة. وقوله تعالى: {رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ

---

[1] كل ذلك في تفاسيرهم المعتمدة ومن أئمتهم المبجلة عندهم.

[2] كان يقول برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر.

الْجِنِّ وَالْإِنسِ} [فصلت ٢٩]، روى الكليني في الكافي أن أبا عبدالله قال: هما، ثم قال: وكان فلان شيطانا، قال المجلسي في شرحه للكافي: هما أي أبو بكر وعمر، والمراد بفلان عمر وتفسير القاديانية للمسجد الأقصى في سورة الإسراء بمسجد قاديان، وهو المسجد الذي من دخله كان آمنا، وغير ذلك كثير.

هذا الأسلوب الخاص بالفرق الباطنية في التعامل مع النص أصبح معروفاً ومردوداً من قبل المسلمين. وهو أيضاً أسلوبٌ يعرف دعاة الليبرالية اليوم عدم مناسبته لروح العصر الذي نعيشه، مضاد للعقل والعقلانية بشكل ظاهر بين، ومع ما تنادي به الليبرالية من الحرية في تفسير النصوص والاستقلالية في فهمها، ومحاربة قصر فهمها وتفسيرها على أصحاب الاختصاص.

فكان السبيل لتحقيق ذات الهدف، هذه الدعوة لإعادة قراءة النصوص الشرعية، وهي دعوة مقلدة ومستنسخة من التجربة الغربية في صراعها مع الكنيسة. وهي دعوة لن تنهض عند المحاورة والمجادلة بالحجج والأدلة، فالناس تسلم للدليل من القرآن والسنة الصحيحة، وفيهما ما ينقض هذه الدعوة ويسقطها. ولأن النصوص في القرآن والسنة الغالب أنها ظاهرةٌ بينةٌ يفهم معناها والمراد منها كل من قرأها، فلا يحتاج قارئها لمفسر يفسر له معناها، قال تعالى: {مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ} [آل

عمران ٧]، يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: (معلوم أن الهدى هو هذا القرآن، فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد فقد كذب الله بخبره أنه هدى، فإنه على هذا القول الباطل لا يكون إلا في حق الواحد من الآلاف المؤلفة). ومنها أن تفسير النصوص خاضع لأصول وقواعد، مرتبطة بفهم اللغة العربية، مفرداتها وتراكيبها، ومرتبطة بأسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ وغيرها من القواعد. ومنها أن الكثير من النصوص قد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا ينطق عن الهوى، وقوله وحي يوحى. وفسرها أصحابه رضي الله عنهم، وهم من زكاهم القرآن، وزكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم باللغة العربية وأفصح، وهم أتقى وأورع، وهم أعلم بأسباب النزول، وعلاقة الآيات بالنوازل والأحداث. ومنها أن العلماء وهم من زكاهم الله تعالى، وأمر بالرجوع إليهم وسؤالهم، قال تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النحل ٤٣]، قد فسروا القرآن العظيم، فسروا الآيات المتشابهات بالبينات، وفسروه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبتفسير صحابته، وبفهمهم العميق للِّغة العربية وأصول الدين وقواعده.

فهل يمكن لمؤمن يؤمن بالله تعالى وبكلامه، وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسنته، أن يعول في فهمه لما أُختلف فيه،

فضلاً عن ما هو محل إجماع واتفاق، فيبني معتقده وعمله لآخرته، على غير رسول الله، ثم صحابته وتابعيهم وأهل العلم الراسخ، والدين والإخلاص. فيرد تفسير رسول الله، وتفسير صحابي وتابعي، وتفسير علَمٍ من أعلام العلم والتفسير والاختصاص، ثم يأخذ بتفسير وفهم من لم يُعرف بالتخصص في العلم الشرعي، بل ومن لم يعرف بدين ولا ورع.

فكان من ضروريات نجاح هذه الدعوة عملهم الدؤوب لإضعاف الإيمان واليقين، والتقوى والصلاح، في نفوس المسلمين، وتعريضهم لتيار جارف من الفتن، فتن للنفوس بأنواع الشهوات، وفتن للقلوب بالمحير من الشبهات. حتى تكون النفوسُ متشوفةً لقراءتهم الجديدة المزعومة للنصوص لموافقتها لشهواتها وحظوظها الدنيوية. وسلك دعاة الليبرالية لترويج فكرهم الحجر والتضييق على كل كتابة وقول يبين خطأهم ويكشف مخالفتهم للدين القويم، والعقل السليم، مخالفين لحرية التعبير التي تنادي بها الليبرالية في منشأها[1]، فحجتها في منشأها غالبة لحجة الرهبان، وحجتها مع الإسلام واهيةٌ مغلوبة، فكان الحجر والمنع في الصحافة والإعلام

[1] أنظر مقدمة كتاب الخطاب الليبرالي الخليجي

**للأقلام والأقوال الفاضحة لهم والمبطلة لحججهم. فعسى الله أن يرد كيدهم ويبطل سعيهم (إن الله لا يصلح عمل المفسدين).**

# تنقص العلماء، والتشبيه بالكهنوت

منزلة العلماء منزلة جعلها الله تعالى لهم، فقال في كتابه العزيز: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} [فاطر ٢٨]، وقال تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النحل ٤٣]. وجعلها لهم رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)[١]، وقال: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[٢]، وجعلهم ورثة للأنبياء (العلماء ورثة الأنبياء)[٣].

وهذا هو الأصل في العلماء، ولكن أخبرَ الله تعالى، وبيَّنَ رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم بشر يؤخذ منهم ويترك، يؤخذ منهم ما وافق الكتاب والسنة والإجماع، ويترك منهم ما خالف الوحيين، وشذ وخالف الجماعة والعلماء. منهم من يضل لخطأه، قال صلى الله عليه وسلم: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب

---

[١] الراوي: أبو أمامة الباهلي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٤٢١٣، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

[٢] الراوي: معاوية بن أبي سفيان، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٧٣١٢، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

[٣] الراوي: أبو الدرداء، المحدث: الألباني، المصدر: صفة الفتوى، الصفحة أو الرقم: ١٠٣، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن.

فله أجران، وإذا أجتهد فأخطأ فله أجر)[1]، ومنهم من يضل لهواه وشهوته، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا} [الأعراف ١٧٥].

والعلماء هم سدٌ في وجه الأدعياء والمفسدين، يفضحون جهلهم وفسادهم، ويبينون للناس عوَرَهم وخطأهم، ويردون أكاذيبهم وشبهاتهم. وفي التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة لهذا، فأحمد بن حنبل رد بعلمه بدعة القول بخلق القرآن، وابن تيمية رد بعلمه بدع الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وابن عبدالوهاب رد بعلمه بدع القبوريين وشركهم برب العالمين، وكذلك فعل كثير من العلماء، يردون الباطل، ويفضحون المبتدع، ويبينون للناس دينهم والصراط المستقيم. قال صلى الله عليه وسلم واصفاً نفسه: (فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تُقحَمون فيها)[2]، وكذلك ورثته العلماء يردون تهافت الناس على النار.

---

[1] الراوي: أبو هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص، المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى، الصفحة أو الرقم: ٤٩٥/١٢، خلاصة حكم المحدث: ثبت في الصحاح.

[2] الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٦٤٨٣، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

هذه المنزلة للعلماء، وهذه المواقف منهم، والتي تفضح الباطل وترده، وتحمي الدين وتحفظه، حتى صاروا باباً موصداً في وجه المبتدعة والمضلين والمفسدين. هذه المنزلة العالية لهم في قلوب المسلمين، والسؤال والاتباع، جعلهم هدفاً لليبراليين، هدفا يريدون إسقاط منزلته ومكانته، وحكمه وقوله، حتى يُكسر هذا الباب، وينفذوا بعد كسره للناس. وسلكوا لذلك طُرقا متنوعة متلونة.

منها ما بنوه على تقليدهم لمؤسسي الفكر الليبرالي في الغرب، والذي كان يواجه مفكروه الكنيسة والرهبان، فشبهوا علماء المسلمين برهبان النصارى، واتهموهم بمضادة العلم والتطور والتقدم، وأنهم سبب التخلف والتأخر، وجعلوا من فتاواهم للمسلمين في كل مسائل الدنيا والآخرة، في أمور العقيدة وأركان الدين، وفي الواجب والحرام، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الأحوال الشخصية والمعاملات، جعلوها تسلطا وتحكماً. يقول أحدهم: (لم يخجل الكهنوت من إبداء الفتوى حتى في كيفية معاشرة زوجتك). وما كان ذنب الشيخ إلا أنه بين سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في آداب المعاشرة وما يحل منها وما يحرم.

وهذا التشبيه بالقساوسة والرهبان باطل كاذب، فعلماء المسلمين هم الدعاة للعلم والتقدم، العلم الديني الذي فيه

صلاح الآخرة، والعلم الدنيوي الذي فيه صلاح الدنيا، في الهندسة والصناعة، والطب والزراعة، وتقنية المعلومات والاتصالات وغيرها من العلوم. وما عارضوا من العلوم والمبتكرات الحديثة إلا ما فيه ضرر على الدين، وضرر على الدنيا. يدندنون على تحريم بعض العلماء للتلفزيون وتحريمهم للقنوات الفضائية، وكأن هذه المبتكرات هي العلم الذي يسوق المسلمين للتطور والنهوض. وحقيقة هذا التحريم عند من حرمه منهم عند التجرد والتحقيق هو تحريم للمفاسد التي تصاحب هذه المبتكرات، ولبس لذات التلفزيون، ولا يمكن لعاقل منصف أن ينكر ما في القنوات التلفزيونية من الحرام، فهو اجتهاد منهم مبني على أصول وقواعد، منها قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وقاعدة الضرر يزال، وغيرها. ولا يمكن لأحد من العلماء أن يحرم هذه الأجهزة لو كان ما يُعرض فيها خير كله، أو يغلب خيره شره.

ومنها تتبعهم وتصيدهم لعثرات العلماء وزلاتهم، فخطأ يوافق هواهم وشهوتهم ينتقونه ويؤيدونه ويشيعونه، ويستدلون به لباطلهم، فيستدلون لصحة الشرك ودعاء غير الله وسؤاله بقول فلان، ويستدلون لكشف المرأة لعورتها بقول فلان، ويستدلون لصحة دين الروافض بقول فلان، وللربا بقول فلان. وهكذا يجعلون زلة عالم وخطأه حجة يردون بها النصوص الصحيحة والأدلة المُرضية والأقوال المشهورة

السليمة. ويخالفون ما يدعون إليه من عدم تقديس الأشخاص، فالموافق لهواهم مقدس قوله، مقدم على الأدلة الصحيحة من القرآن والسنة والإجماع.

وخطأ آخر يفرحون ويطيرون به، ويجعلون منه حجة على كل العلماء، فيسخرون منهم ويتهكمون، ويُجَهِّلون ويتهمون، ويسعون به لإسقاط منزلة كل العلماء، ونزع احترامهم وهيبتهم من قلوب المسلمين.

ومنها اتهامهم للعلماء بالتشديد والتضييق على الناس، ومنعهم لهم من الاستمتاع بالدنيا والحياة. وهذا كذب وافتراء، فالشريعة التي أنزلها الله وارتضاها للناس، قد أحلت وحرمت، قال صلى الله عليه وسلم: (حفت النار بالشهوات)[1]، شهوات ومتع ولذات هي حرام، حرمها الله وحرمها رسوله صلى الله عليه وسلم، والعلماء يحرمونها اتباعاً وامتثالا، وشهوات ومتع ولذات من المشتبهات حرمها بعض العلماء وكرهها بعضهم، حماية للناس من الوقوع في الحرام، قال صلى الله عليه وسلم:

---

[1] الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٣١٤٧، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

(الحلال بيّنٌ والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات)[1]. فكان اختيارهم وحكمهم مبنياً على محبتهم الخير للناس وخوفهم عليهم من ملابسة الحرام، لا تعنتاً وتشدداً وتضييقاً كما يزعمون ويتهمون.

ودعاة الليبرالية يسعون لجر الناس معهم في الاعتراض على حكم الله تعالى، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، ورده ورفضه. ونقلهم من معصية الوقوع في الحرام، حرام يستغفرون الله منه، ويرجون التوبة عنه، إلى طامة وكبيرة هي الاعتراض على حكم الله تعالى وحكم رسوله، ومن ظنَّ أن حكم الله تعالى وحكم رسوله خطأ مخالف للعقل، فقد وقع في الردة والعياذ بالله من الحور بعد الكور.

ولكن الأمل أن المسلمين لديهم من العلم والمعرفة ما يفرقون به بين الأمرين، ويعرفون قول الله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [فاطر ٣٢]، فالذنب ما دون الكفر والشرك لا يخرج المسلم من الإسلام، ولكن الاعتراض على حكم الله تعالى والاعتقاد أن حكم غيره

---

[1] الراوي: النعمان بن بشير، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٣١٩٣، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

خير أو مساو لحكمه هو كفر وشرك. فالمسلم إذا غلبه هواه والشيطان فزنى يكون معترفاً بخطئه، مُقراً بذنبه، وَجِلاً من ربه، يرجو عفوه ومغفرته، والمعترض الراد لحكم الله تعالى يرى زناه حرية واختيارا، هو من حقه وحريته.

ومن مسالكهم لصرف الناس عن علمائهم، وعدم الرجوع لأقوالهم ونصحهم، إنكارهم الشديد على العلماء إذا يبينوا الأحكام الشرعية وفق ما تقتضيه السياسة الشرعية في المسائل السياسية، والتي هي مسائل عظيمة، تمس الناس في ضرورياتهم، في دينهم ودمائهم، وأعراضهم وأموالهم. ليكون الخوض في هذه المسائل العظيمة حكراً عليهم بدعوى الاختصاص، ومعرفة الواقع والعلاقات الدولية والسياسات العالمية. وهذه الدعوى تنم على جهل بالدين الحنيف الذي أتمه الله وارتضاه، وبيَّن لنا فيه الأحكام المختلفة في كل شؤون الحياة الدنيا والحياة الآخرة. فكتب الفقه تحتوى على أبوب عن أحكام الحرب، والعهود والمواثيق، والولاية والإمارة، والبيع والتجارة، ونحوها. أحكام مبنية على الدليل الصريح من الكتاب والسنة، ومنها ما بني على الاجتهاد من أهل الاجتهاد.

ثم هم يخالفون دعوى الاختصاص حين الكلام في المسائل الدينية، فيخوضون فيها بلا علم، وينكرون على المنكر عليهم،

**ويتناسون ما ينكرونه على العلماء ويدَّعون لهم فيه الاختصاص.**

# الوطنية والولاء للدولة السعودية

تحتل المملكة العربية السعودية مكانة خاصة في قلوب عموم المسلمين، ففي الجزيرة العربية نزل الوحي من رب العالمين على رسوله الأمين. فبدأ الإسلام فيها، وانتشر نوره منها إلى العالم كله، قريبه وبعيده، شرقه وغربه. عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلَّا أدخله الله كلمة الإسلام)[1]. والجزيرة العربية هي بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلد الصحابة، وله ولهم المكانة والمحبة في قلوب المسلمين. كما تتشرف المملكة العربية السعودية بخدمة المسجدين الشريفين، الكعبة البيت الحرام، ومسجد رسول الله، أغلى بقعتين، وأطهر موضعين، فلها تهوي أفئدة المؤمنين، وإليها تُشد رحالهم، وفيها يؤدون ركناً من أركان دينهم.

وقد وافقت وأيدت هذه المكانة التاريخية والمكانية للمملكة العربية السعودية في قلوب المسلمين، ما تمثله وتحققه هذه الدولة للمسلمين، من دولة نشأت لتحقيق الدين، وتصحيح

[1] الراوي: المقداد بن الأسود، المحدث: الألباني، المصدر: تخريج مشكاة المصابيح، الصفحة أو الرقم: ٣٩، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

العقيدة، وإزالة البدع والخرافات، وتحكيم الكتاب والسنة، وإقامة شعائر الدين. ودولة لها جهود واضحة مخلصة لجمع كلمة المسلمين، وحل خلافاتهم، وتحقيق مطالبهم وحقوقهم. ودولة بذلت المال بحب وسخاء للبلاد الإسلامية الفقيرة، في شتى المجالات، من تعليم وصحة وزراعة وصناعة ونحوها. ودولة تسارع بمدِّ يدِ العون لكل الآخرين عند حلول الكوارث والأزمات. ودولة كان لمؤسساتها الدينية، وجامعاتها الإسلامية، وعلمائها الدور الكبير، والأثر الملموس في تصحيح عقيدة المسلمين، والعودة بهم إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه رسولهم وصحابته.

هذه المكانة لهذه الدولة عند عموم المسلمين كان لها الأثر الطيب والملموس في تصحيح عقيدتهم، وتمسكهم بدينهم، وفخرهم بتاريخهم، والعودة بهم إلى مكانتهم التي تليق بهم بين الأمم والشعوب. يُرى هذا الأثر بينا في كل البلاد الإسلامية، العربية والعجمية، وبين المسلمين في بلاد الغرب، من امتدادٍ وانتشار للمنهج السلفي، المبني على الكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح، والقرون المفضلة. فالكل يطلب لكل شأن ديني شرعي، في أمور الدنيا والآخرة، دليلَه من الكتاب والسنة، ويردُّ ولا يرتضي البدع المحدثة، الشركية وغيرها، والتعصب للفرق والمذاهب.

هذه العودة للدين، والصحوة للمسلمين، أرعبت وأقلقت أعداء الأمة الإسلامية، ورأوا فيها تهديدا لمصالحهم ونفوذهم، فدرسوها وبحثوها ومحصوها، فعرفوا أسبابها، ومصادرها، ووضعوا لعرقلتها وتحريفها المشاريع والخطط. وبذلوا لذلك الأموال، والنفوذ السياسي، والقوة العسكرية، وسخَّروا معهم لتنفيذ مخططاتهم الفرق الضالة، والمذاهب الباطلة، وأصحاب الفكر والقلم من المنتسبين للإسلام قولاً، والمفتونين المعجبين بالفكر الغربي وحضارته ونمط حياته، قلباً وعقلاً. كما استفادوا، وسخروا بدهاء أصحاب الفكر الغالي المتشدد المتهور، لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين، وزعزعة استقرار البلاد الإسلامية، وزرع الفتن والخلافات بينهم.

وصارت الدولة السعودية مستهدفة بهذا العدوان والظلم، في أمنها الداخلي، بتسليط الفئة الضالة للتخريب والإفساد، وتحريض الأقليات من أصحاب المذاهب الضالة على معاداة دولتهم، والانتماء والولاء إلى أعدائها، وتوجيه أصحاب الفكر التغريبي لانتقاد أصول الدين وثوابته، وتقاليد وأعراف أهله الحسنة الطيبة، ومهاجمة علمائه ودعاته، ومؤسساته الدينية. وصارت مستهدفة في مكانتها الإسلامية بالتضييق على مشاريعها الإصلاحية، والدعوية، والإنسانية في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وملاحقة واتهام جمعياتها الخيرية،

ومؤسساتها وجامعاتها الإسلامية، بتهم مختلقة باطلة، مثل نشر وتمويل الإرهاب، والترويج لثقافة العداوة والبغضاء.

وقابل هذا التضييق على المملكة العربية السعودية الدعم والتشجيع المستتر الخفي حينا، والظاهر الجلي حينا، للدول والفرق والجماعات، التي تتبنى مذاهب باطلة منحرفة عن الدين، وتدعو لها بين المسلمين كالتشيع، والتصوف، وأدعياء السلفية، والسلفية منهم براء. وفتحت لهم الأبواب، وسهلت لهم الأسباب، وذللت لهم الصعاب، لنشر هذه المذاهب الباطلة في كثير من البلاد الإسلامية، وصوَّروهم للمسلمين من خلال الإعلام، وخصوصا القنوات الفضائية الإخبارية المشبوهة، والمحطات الإذاعية الموجهة، بصورة الغيورين المدافعين عن دينهم وأرضهم ومصالح المسلمين، من خلال مواقف سياسية جوفاء كاذبة، الواقع يشهد بضدها.

حتى خُدع المسلمون، حتى في البلاد السعودية، وصدقوا وهللوا لأمثال الخميني، وحسن نصر الله، وابن لادن، ونحوهم، مع تنوع بدعهم، واختلاف انحرافاتهم. وقد كشفت الأحداث المتتابعة في المنطقة العربية الحقيقةَ لكثير من الناس، الذين صدقوا شعارات المشبوهين لتحرير فلسطين، والموت لأمريكا، لقوة الدعاية، وضعف الإعلام المضاد، وقلة العلم الشرعي، والفقه والنظر.

فها هم اليوم يسهلون لهم حروبهم في أفغانستان والعراق، ويساهمون معهم فيها. ثم هم اليوم يستلمون العراق من يد أمريكا، بعد فشلهم من قبل في تحقيق ذلك في حرب ضروس أهلكتهم وجرعت السم لإمامهم، وفي سوريا هم أشد تنكيلا وبطشا بالمسلمين من اليهود، وفي فلسطين الخداع والتغرير والمتاجرة بالدماء الطاهرة لمصالحهم الخاصة الدنيئة، وفي لبنان بَأسُهُم كله على أهل السنة في طرابلس وبيروت، والتهديد والوعيد الكاذب للعدو الصهيوني.

بل إن الخوفَ من المد السلفي في العالم الإسلامي دفع الغربَ إلى الدعم والتمكين لجماعة الإخوان المسلمين في بعض الدول العربية، لمعرفتهم بالضعف العلمي والخلل المنهجي، لهذه الجماعة المسلمة السنية، والذي سيسخرونه للتضييق على المد السلفي، والتسهيل للطرق الصوفية الضالة والتمكين للمد الشيعي الرافضي في بلاد المسلمين.

وكلُ هذا العمل والمكر، له تأثير سلبي سيء، على دور المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، وعلى المد السلفي السني الصحيح الذي تدعو إليه. تأثير سلبي على منهجها ودعوتها الإسلامية السلفية الصحيحة، وتأثير سلبي على مكانتها السياسية ومنهجها الحكيم المعتدل. بل تأثير سلبي

يمتد ليمس أمنها الوطني، ووحدة أراضيها، واستقرارها، واستقلالها.

وهذا التحدي الذي تواجهه الدولة السعودية، من خلال الضغوط الخارجية والداخلية، للتخلي عن منهجها الديني السلفي، للتخلي عن امتثاله وتطبيقه في أرضها، والتخلي عن الدعوة إليه ودعمه خارج أرضها. كان الرد على هذا التحدي واضحاً وصريحاً في كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - حين قال: (وأفهمكم بأن بلادكم ولله الحمد بعز، ومعزة الرب عز وجل، كذلك بلادكم ماشية إن شاء الله على الطريق المستقيم الكتاب والسنة، ما تحيد عنها أبداً أبداً مهما كان)[1].

وفي كلمة ولي عهدها السابق الأمير نايف بن عبدالعزيز - رحمه الله - في ندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني، إذ قال فيها: "إننا نؤكد لكم على أن هذه الدولة ستظل بإذن الله متبعة للمنهج السلفي القويم، ولن تحيد عنه ولن تتنازل، فهو مصدر عزها وتوفيقها ورفعتها، كما أنه مصدر لرقيها وتقدمها". وقال

---

[1] كلمة خادم الحرمين الشريفين خلال افتتاح مبنى الأمانة العامة لمنتدى الطاقة بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٤٢٦ هـ

مؤكدا ارتباط الدولة بالدعوة منذ نشأتها الأولى عام ١١٥٧ هجرية: "وحسب ما هو معروف، فإن هذه الدولة المباركة، قامت على المنهج السلفي السوي، منذ تأسيسها على يد محمد بن سعود، وتعاهده مع الإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله، ولا تزال إلى يومنا هذا بفضل الله، وهي تعتز بذلك. وتدرك أن من يقدح في نهجها، أو يثير الشبهات والتهم حوله، فهو جاهل يستوجب بيان الحقيقة له".

وفق الله هذه الدولة المباركة، قادتها وعلماءها وأهلها، وأعانها على القيام بدورها وتحمل مسئولياتها تجاه الإسلام والمسلمين في كل مكان. هذه المسؤوليات التي تشرفت بحملها وتبليغها والذب عنها، وكانت هذه المسئوليات سبباً في وجودها، وفي أمنها وخيرها، قال تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ} [النور ٥٥].

ودعاة الليبرالية والتغريب في هذه البلاد المباركة، يدَّعون الوطنية، وحبَّ هذه البلاد، والحرص على أمنها، ويقدمون مشروعهم الليبرالي التغريبي حلا لجميع الأزمات، وطريقا للرقي والتطور في جميع المجالات. ويعملون جاهدين لفصل ارتباط الدولة السعودية بالدعوة السلفية، والانتقال بها إلى دولة مؤسسات مدنية، لا يحكم الدين سياستها وقضائها وأنظمتها واقتصادها وإعلامها.

وقد سلكوا لتحقيق هذا التحويل مسالك متنوعة، في التقريب والإقصاء، والتمكين والتضييق، وتسخير وسائل الإعلام المختلفة، المرئية والمسموعة والمقروءة، والتقليدية والحديثة، في الإذاعة والتلفزيون، والمجلة والجريدة، ومواقع الإنترنت ووسائل التواصل. كل ذلك سُخِّرَ للدعاية والترويج لفكرهم والتزيين لرأيهم، وحشد التأييد له، ودفع الدولة له.

ودعاة التغريب في بلادنا ليسوا سواء في تقديري، فمنهم من يعتقد لجهله بدينه وتاريخه أن الطريق للتقدم والرقي لن يتحقق للبلاد إلا بسلوك هذا المسلك. ومنهم عدو للدولة السعودية، يسعى لهدم أساس شرعيتها، ونزع سبب المحبة لها من قلوب رعاياها وأبنائها، وإثارة الفتن والخلاف والشقاق بين مواطنيها، لتحقيق مآربه من هدم الدولة السعودية.

وكلا الفريقين نتيجة سعيهما واحدة وإن اختلفت نواياهم ومقاصدهم. فالله تعالى يقول في كتابه العزيز: {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد ٣٨]، ويقول تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد ١١]. فالله لا يظلم الناس شيئاً، إن غيروا من التوكل على الله إلى التوكل على غيره، وَكَلَهم الله إليه، فكان ضياعهم وهلاكهم. وإن أرادوا الأمن والسلم من غير شرعه وطريقه، كانت الفتنة والخوف بديلا لهم.

فكان التوظيف للحرب على الإرهاب، وهي حرب كل له أهدافه منها، منهم هدفه صحيح أمين، ومنهم هدفه غش وباطل. وقد وظف الليبراليون الإرهاب لادعاء الوطنية، ولطعن الدين والمنهج السلفي وربطه بالإرهاب. فالإرهاب بزعمهم تولد من التعليم الديني، ومن حلق تحفيظ كتاب الله، وخطب الجمع في الجوامع، واتباع أهل العلم وسؤالهم. وهذه دعوى باطلة كاذبة، فدين الإسلام دين تام كامل، فيه العدل والخير، والصلاح والأمن، تحريم الدماء والاعتداء، والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله تعالى، ولزوم الجماعة. وما واجه الإرهاب في البلاد السعودية، وجمع الكلمة على ولي الأمر، إلا مواقف أهل العلم الراسخ والعقل الراجح. فهؤلاء هم من تصدي للفكر الإرهابي، ولزلات وأخطاء بعض طلبة العلم، وضلالات وانحرافات الليبراليين التغريبين. بل إن الليبراليين كانوا من أسباب ظهور الفكر المتطرف الغالي، فالبدعة والضلالة ربما سلك من غلب رأيه علمَه، وعاطفتُه عقلَه، في علاجها مسلكاً غالياً منحرفاً، فيقابل البدعة ببدعة مثلها.

ووظف الليبراليون دعوى الوطنية، والنهوض بالبلاد وتطورها، بربط الرقي والتطور بتقليد الغرب، وتتبع سننه، وسلوك مسلكه. فالغرب حقق تطوره وتقدمه حين أوقف تسلط الكنيسة، وتحكم الكهنوت في كل شأن من شؤون الناس، وحصر الدين في العلاقة التعبدية بين الإنسان وربه. وهذه

أيضا دعوى كافرة باطلة، لأن التشبيه باطل، فدين الإسلام ليس كدين النصارى، والقرآن ليس كالإنجيل المحرف، وعلماء الإسلام ليسوا كالرهبان والقساوسة. فديننا فيه صلاح الدنيا والآخرة، ودين رهبان النصارى فيه ظلام الدنيا والآخرة، وخلاص الغرب من تسلط رهبانهم، وأخذهم بأدوات العلم الدنيوي، العقلي التجريبي الاستقرائي، والاستفادة بعلوم من سبقهم، من العرب والإغريق وغيرهم، حقق لهم النجاحات العلمية الدنيوية، مع بقاء ظلام الآخرة، وفقدان الحياة الدنيوية المتزنة المطمئنة.

# سد الذرائع تضييق وتحريم للحلال

نقدٌ ونقضٌ ورفضٌ لدليل سد الذرائع يتبناه دعاة الليبرالية، واتهام لهذا الدليل بتحريم الحلال، والتضييق والتشديد على الناس. فسد الذرائع عندهم حمَّلَ المسلمين القيود والآصار والأغلال عبر عقود من الزمان، وسد الذرائع أغلق في وجه المرأة أبواب الحياة، وسد الذرائع تسلطٌ من العلماء وتأليهٌ لآرائهم، إلى قائمة تطول من الاتهامات والمبالغات.

ولشدة الهجوم والنقد والاتهام لهذا الدليل - وهو دليل فرعي اجتهادي عند الفقهاء المتقدمين والمتأخرين - من قبل كثير من الناس، بعضٌ لغرض فاسد، وبعض لسوء فهم، فسأبدأ قبل التعريف والتبيين لهذا الدليل بتوضيح قواعد وضوابط تخص هذا الدليل. أولها: أن سد الذرائع لا يجوز التجاوز فيه، بتحريم مباح لا يؤدي إلى حرام، أو تحريم مباح فيه مصلحة ظاهرة للناس، لأنه ربما أدى إلى حرام. لذا لم يحرِّم أحدٌ معتبَرٌ من العلماء العنب خشية اتخاذها خمرا، والمال والغنى خشية الفتنة والتبذير، والسيارات والطائرات خشية الحوادث والوفيات، ولا البرقية والتنقيب عن النفط وتعليم البنات، كما يزعمون.

وثانيها: أن الحكم بتحريم الشيء المباح في الأصل، حماية للناس عن الوقوع في الحرام، هو حكم لا يصح ولا يقبل، إلا من عالمٍ فقيهٍ مجتهد. فالله تعالى أثنى على العلماء، وأمر بسؤالهم، ورد الحوادث والنوازل إليهم، لأنهم كما أخبر الله عنهم، أهل الخشية لله، فلا يقولون على الله بغير علم. وهم أيضا أهل العلم بالله وبحلاله وحرامه، فلا يحرمون حلالاً، ولا يحلون حراما. وهم ورثة الأنبياء، يحبون للناس الخير والجنة، ويخافون عليهم الشر والنار. هذا هو الأصل فيهم، والغالب عليهم، ولا يضرهم شذوذ مَن انتسب إليهم، واشترى بعلمه ثمناً قليلا، فأولئك أشباه أحبار يهود، وأول من تسعر وجوههم في النار.

وثالثها: أن الحكم استناداً على هذا الدليل هو حكم اجتهادي، قد تختلف فيه أنظار العلماء وأحكامهم، فكل يحكم بما يترجح لديه، ويرى فيه براءة ذمته وصلاح أمته، ولا يمكن أن نتوقع أو نطلب منه الحكم بخلاف اعتقاده. فالشيء يؤدي لا محالة إلى الحرام فيتفقون على تحريمه، مثل حفر بئر في طريق عام وبيع العنب للخمار وبيع السلاح للمجرم القاتل. والشيء غالباً يؤدي إلى الحرام، أو أحياناً يؤدي إلى الحرام فيختلفون فيه، فمنهم من يبني على الأصل، ومنهم من يحتاط للدين ويجنب الناس المشتبهات، وكلٌ منهم على أجر، مثل مسألة قيادة المرأة للسيارة. والناس في الفروع، كما أمرهم الله تعالى، وكما نص

عليه أهل الأصول، واجب عليهم اتباع الأعلم والأتقى من العلماء، والأقرب منهم للدليل الصحيح.

ورابعها: أن الشيء الذي يؤدي اليوم إلى الحرام فيصير هو حراماً، قد لا يؤدي في المستقبل إلى الحرام، أو يضعف تسببه للحرام، فيتغير الحكمُ عليه تبعاً لتغير الحال، ليعود إلى ما كان عليه في الأصل، إن واجب فواجب، وإن مندوب فمندوب، وإن مباح فمباح، وإن مكروه فمكروه. فبيع السلاح، الأصل فيه الإباحة، وربما يصير واجباً أو مندوباً عند وجوب الجهاد، ويصير بيعه حراماً في الفتنة ولمن يقتل عدوانا به. ومثاله أن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله نهى عن بيع الكلونيا حين شربها كثير من الفُسَّاق للإسكار، ولا يحرمها اليوم أحد لزوال السبب أو ندرته. وقيادة المرأة للسيارة بالأمس كان سبب التحريم ظاهراً، لتلزم بيتها كما أمرها رسولها صلى الله عليه وسلم، وتشتغل بأهم مسؤولياتها من تربية النشء وإدارة مملكتها. واليوم وبعد أن وقع المحظور وخرج كثير من النساء من بيوتهن لأعمال هنَّ في غنى عنها، وقدَّمن ما يؤخَّر، وأخَّرن ما يقدم، وابتليت الأسرُ بسائق أجنبي يخرج بنسائهن، واختلى الخلوة المحرمة بالنص مع كثير منهن. هذا التغير في الحال وفي صورة المسألة، حتى صار سدُّ الذريعة سبباً في الوقوع في الحرام، جعل بعض العلماء والفقهاء يتراجع ويغير حكمه لتغير الحال، وهذا أمر طبيعي محمود. واستمر كثيرٌ من

العلماء، وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة والعلامة الشيخ صالح الفوزان وغيرهم من كبار العلماء في حكمهم بالتحريم، لأنهم يرون ما ينتج من المفاسد أكثر مما يتحقق من المصالح، ولا يتصور منهم أبداً أن يغشوا المسلمين فيحكموا في مسألة بغير ما يعتقدونه حقاً وصلاحا. والواجب الرجوع في مثل هذه المسائل الخلافية لرأي الجهة الشرعية الرسمية للفتوى في البلاد وتقديمه على غيره.

وخامسها: أن حكم ولي الأمر في المسائل الاجتهادية الخلافية يرفع الخلاف، وهو أمر سبق أن فعله كثير من حكام المسلمين عموماً، وحكام هذه البلاد خصوصاً.

وسادسها: من الحق والعدل أن نفرق بين المنتقدين المعارضين لهذه القاعدة. فصنف عارضها لسدها لكثير من أهدافه ومقاصده التي يسعى إليها من شيوع الفاحشة وفساد الناس وإبعاد الدين عن حياتهم. وصنف عارضها لا لذاتها ولكن للتوسع في إعمالها، وعدم مراجعة ما بُني عليها من أحكام لتغير الزمان والمصالح والأعراف، ومثاله النهي عن بيع السلاح في الفتنة خوفاً من استعماله لقتل المسلم حكم مؤقت يزول بزوال السبب، ومثله النهي عن بيع جهاز الدش لغلبة القنوات المحرمة يزول إذا كان الجهاز لا يستقبل إلا القنوات المباحة ويمنع استقبال ما غالبها حرام أو فيها حرام.

والتفريق بين الفريقين بيّنٌ ظاهر، فالفريق الأول وهو المنتسب للّيبرالية مفسد يدعو لإلغاء هذه القاعدة ورفضها، ويسخر ويلمز بالعلماء والمفتين الذين اعتبروها واستدلوا بها، ويكذب ويحرف ويبالغ في عرض ونقد الفتاوى التي استندت عليها. وواقعه وسيرته وغالب كتابته تدل على حاله ومكانة الدين في نفسه.

ومن أمثلة كذبهم لتشويه هذا الدليل الفرعي، ونسبة كل اجتهاد من العلماء إلى الاعتماد عليه: تحريم بعض العلماء للتصوير الفوتوغرافي. والحقيقة أن الذي حرَّمه منهم لم يستند في تحريمه على دليل سد الذرائع، ولكن على النصوص من الكتاب والسنة، والتي تدل على تحريم التصوير في العموم وشدة عقوبة المصور. وكذلك جعلوا هذا الدليل سبباً لتحريم البرقية، ونسبوه للعلماء. وهذا كذب وتلبيس، فمعلوم أن من حرمها هم بعض المتدينين من البادية لجهلهم بحقيقتها، وعارضهم العلماء وبينوا لهم خطأهم.

وبعد ما سبق فهذا تعريف لهذا الدليل، الذي دلَّ الشرع والعقل عليه. فالعلم دواء الجهل، وجلاء لكل شك وريب، ومعرفة هذا الدليل يمكن طالب الحق بإذن الله تعالى من معرفة الحق في هذه المسألة، وحقيقة هذه الاتهامات، ومدى توافقها مع الشرع والعقل.

فسد الذرائع هو نظرٌ في المآلات، لتحقيق مقاصد الشريعة، ونظرٌ في المآلات لدرء المفاسد عن الضروريات الخمس، الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وجلب المصالح لها.

وهو دليل دلَّ عليه الكتاب والسنة، في تحريم بعض المباحات، بل والمندوبات والواجبات، إذا كانت ستؤدي إلى الحرام، أو إلى مفاسد تزيد وتربو على المصالح التي فيها. وقد ذكره العلماء واعتبروه واستدلوا به كثيرٌ منهم. واستدل من اعتبره منهم لصحة هذا الدليل بقوله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام ١٠٨]. فنهى الله تعالى المسلمين عن سب آلهة الكفار حتى لا يسبوا الله عدوانا وظلما، فعيب آلهتهم وانتقاصها حقٌ، نهى الله عنه إذا أدى لتعدي الكفار وسبهم لله تعالى. واستدلوا من السنه بما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألم تَرَيْ أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم! قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت). فترك مصلحة إعادة البيت على قواعده درءاً لغلبة ظنِّ مفسدة أعظم. ومأخوذ من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم في تحريم الذبح لله تعالى في موضع وثن من أوثان الجاهلية، فالذبح لله، عبادة لله، صار منهياً عنه، سداً لباب تعظيم الوثن والذبح له. ومثله الصلاة والدعاء عند القبر،

والصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، والنهي عن التصوير والأمر بطمس الصور، لأن ذلك كله ذريعة ووسيلة ربما أفضت إلى الشرك. كما جاءت السنة بتحريم الخلوة بالأجنبية خوف الزنا، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها خوف قطع الرحم، وتحريم الهدية للعمال والقضاة لأنه وسيلة للرشوة والظلم، ونحو ذلك كثير.

كما قد ذكر الإجماع على صحة الاستدلال بهذا الدليل كثير من علماء الأصول، منهم الشاطبي والقرافي، وقال ابن تيمية رحمة الله: الذريعة هي الوسيلة، لكنها أصبحت في عُرف الفقهاء عبارة عما أفضى إلى فعل محرم. وذكرها ابن القيم وساق لها تسعة وتسعين شاهدا في كتابه أعلام الموقعين.

وقد دلَّ العقل أيضا عليها، فالعقل السليم يدل على ترك الشيء إذا أفضى إلى ضرر، ويعمل بذلك العقلاء. فكل إنسان عاقل يجتنب ما لا بأس به إذا تيقن أنه سيؤدي به إلى ما يضره، وكذلك يتجنبه بعد نظر وموازنة أذا ظنَّ أنه يؤدي به إلى ما يضره.

فالناس يسدون الذرائع، فيمتنعون عن الشيء لا بأس به في نفسه حين يرون فيه سبباً لضررٍ مؤكدٍ أو مظنونٍ على أبدانهم أو أموالهم أو أيِّ شيء يحبونه. فيُهجر الصديق إذا ساق إلى

الحضيض، ويهجر البلد يحيها إذا ماجت فيها الفتن وضاع منها الأمن، ويترك البيع والتجارة إذا ظنَّ فيهما الخسارة.

وكذلك كثير من الأنظمة والعقود تُراعي المآلات لتحقيق المقاصد، ولسد أسباب الظلم والفساد، فتمنع كلَّ ما قد يؤدي إلى الممنوع والمحذور. فتضع حداً أدنى لأجور العمال، وحداً أعلى لسرعة السيارات، وفحصاً طبياً للزواج، ومؤهلاً علمياً للوظيفة، ونحو ذلك في الأنظمة كثير.

والذَّرِيعةُ في اللغة هي الوسيلة المُفضِية إلى الشيء، والجمع الذرائعُ. يقال: فلانٌ ذريعتي إليك، أي هو الوسيلة الذي أتسبب به إليك. واصطلاحا: الأمر الجائز الذي قد يتوصل به إلى الممنوع، قال القرطبي: الذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف مِن ارتكابه الوقوع في ممنوع. وقال شيخ الإسلام: الذريعة ما كانت وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكن صارت في عُرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة.

فإذا كان الشيءُ يُفضي دائماً إلى المحرم فهو حرام عند الجميع، وإن كان الشيءُ يُفضي غالباً إلى المحرم فهو حرام عند الأكثر. وإن كان يُفضي أحيانا إلى المحرم فهو محل موضع النظر والاختلاف. فكل مجتهد يحكم حسب ما ترجح له بعد نظره في مصالح هذا الشيء، وفي الحرام الذي ربما أدى إليه،

وفي وجود البدائل التي تغني عنه مع سلامتها من الإفضاء إلى الحرام.

والذريعة تجتمع مع الحيلة في الوصول إلى الحرام بالمباح، وتختلف عنها أنَّ الحيلة يُقصد فيها الوصولُ للحرام، والذريعة لا يُقصد بسلوكها الوصول إلى الحرام. والحيل من طبع اليهود، حُرِّم عليهم الشحم فأذابوه وأكلوا ثمنه، وحُرِّم على أهل القرية صيد السبت، فاحتالوا فجمعوا السمك في الشباك يوم السبت، وأخرجوها من البحر الأحد، فمسخهم الله قردة خاسئين.

وأهل الإسلام والإيمان يسدون الذرائع والوسائل التي تُفضي وتؤدي إلى الحرام، تعظيماً لأمر الله تعالى، وخوفاً من الوقوع في الحرام.

والشريعة رحمة بالعباد، رحمة لهم في دنياهم، ورحمة لهم لآخرتهم، فكما أن الذرائع الموصلة للحرام تُسد حماية للدين، فكذلك الحرام يؤذن به حيناً، ويؤمر به حيناً، في حال الضرورات، قال تعالى آذناً بالتلفظ بأعظم ذنب: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} [النحل ١٠٦]. فسد الذريعة يقابلها في الشريعة قاعدة وجوب ما لا يتم الواجب إلا به، فيصير المباح والمندوب والمكروه والحرام أحيانا واجباً إذا لم يمكن الوصول إلى الواجب إلا به. مثاله جواز التلفظ بالكفر عند الإكراه،

ووجوب إنقاذ الأجنبية الغريقة، ووجوب ترك النهي عن المنكر باليد أو اللسان إذا أدى الإنكار إلى ضرر أعظم، ودفع الرشوة لدفع القتل عن مظلوم، ونحوها.

الأخذ بدليل سد الذرائع ليس خاصاً بعلماء المملكة كما يروجه بعض الكتاب، بل قال به المالكية والحنابلة، وبعض الشافعية والحنفية، وابن تيمية، وابن القيم وذكر تسعة وتسعين دليلاً على مراعاة سد الذرائع، وقال هو ربع الدين. ومن لم يستدل منهم بسد الذرائع استدل بالقياس، والاستحسان، واعتبار المقاصد والقواعد الكلية، في تحريم ما يسوق إلى الحرام. قال القرافي: مالك لم ينفرد بذلك، بل كل أحد يقول بها. وقال الشاطبي: ومن أسقط حكم الذرائع كالشافعي، فإنه اعتبر المآل أيضا. وقال الشافعي في الأم: ما كان ذريعة لإحلال ما حرم الله لم يحل. وقال ابن العربي: اختلف الناس بزعمهم فيها، وهي متفق عليها بين العلماء.

سد الذرائع قطع لخطوات شياطين الجن والإنس، والتي أخبر الله أن لها خُطُوات، تتدرج بالناس، حتى توقعهم في الفحشاء والمنكر، وفي الكفر والإلحاد. فهم لا يجرؤون على دعوة المسلمين إلى الحرام، ولكن يستخفون بعقول الناس بدعوتهم إلى ما يسوقهم ويوقعهم في الحرام.

**قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: إن سدَّ الذرائع وقطع الوسائل من أكبر أصول الدين وقواعده، وقد رتب العلماء على هذه القاعدة من الأحكام الدينية تحليلاً وتحريماً ما لا يُحصى كثرةً ولا يخفى على أهل العلم والخبرة.**

# د. جواهر بنت عبدالعزيز
# بن عبدالرحمن آل الشيخ

- الليبراليون ووسائلهم في تناول قضايا المرأة السعودية
- طرق الليبراليين في قضايا المرأة
- حجاب المرأة تشدد وتضييق عليها
- اختلاط النساء بالرجال
- المحرم وقوامة الرجل على المرأة
- عمل المرأة في جميع الأعمال
- قيادة المرأة السيارة
- القضايا الرئيسية للمرأة

# الليبراليون ووسائلهم في تناول قضايا المرأة السعودية

في بداية هذا الموضوع الخطير الذي يدرس قضايا المرأة السعودية التي تمثل نصف المجتمع الحيوي، لابد أن نطرح الاستفسار الضروري التالي:

من هم المعنيّون بهذه الدراسة؟

إنهم الأدوات الداخلية للأيدي الخارجية، وهم الذين سماهم القرآن الكريم المرجفون في المدينة، الذين يظهرون في كل زمان ومكان، ممزقين اللحمة الاجتماعية الداخلية المحافظة على القيم الدينية والأخلاقية، وذلك بحجة الإصلاح، والإصلاح منهم بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، إنهم الذين تنطبق عليهم الآية الكريمة {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} [البقرة ١٢].

بيْد أن مسمياتهم تختلف حسب الواقع الذي يعيشون فيه، ففي واقعنا المعاصر يسمون (العلمانيون) الذين يريدون فصل الدين عن الدولة في جميع نواحي الحياة، أي يريدونه قوالب جامدة لا تتعدى دور العبادة، بينما الإسلام دين ودنيا وشريعة

ومنهج حياة، يعي ذلك أصحاب العقول السوية والفطرة السليمة، ويرفضه أولو الريبة وأصحاب الجهالة.

كما أنهم يطلق عليهم (الليبراليون) أي المتحررون المحررون، المتحررون المتمردون بذواتهم، المحررون لغيرهم من كل قيود الدين والأخلاق والفضيلة، مع أن الإسلام هو دين التحرر من العبودية والاستعباد والولوغ في سموم الشهوات والضلال.

وهم أيضا (التغريبيون) المبهورون بالثقافة الغربية انبهارا أعمى يجعلهم يحاولون استنساخها في مجتمعاتهم الإسلامية بكل السبل استنساخ مسخ يثير السخرية والاستهجان والشفقة.

بيْد أنه مهما اختلفت المصطلحات والمسميات فالمعنى واحد لا يتغير على مر السنين.

ولكنني في الوقت ذاته لن أسمي أسماء بعينها سواء أكانت أسماء رجالية أم نسائية، لأنهم يعرفون أنفسهم ويعرفهم الناس في مجتمعنا حق المعرفة، وهم رغم قلة عددهم إلا أنهم منتشرون في مواطن شتى من بلادنا، وأنشطتهم السلبية كثيرة متنوعة رغم رفض المجتمع لها، وذلك لأن المنابر الإعلامية والثقافية أعطيت لهم دون سواهم على نطاق واسع، مما جعلهم ينشرون شبهاتهم بلا حدود ودون خطوط حمراء، عبر الكلمة والمقالة والقصة والرواية والشعر وعالم الصحافة والنشر، بل دخلوا وأُدخلوا من جميع البوابات الإعلامية

الضخمة المتنوعة؛ حيث خشبات المسرح، والبرامج المرئية والمشاهد التمثيلية، وغيرها، حتى قلبوا مجتمعنا ما بين ليلة وضحاها رأسا على عقب.

وعدم ذكري لأسمائهم يعود لسببين، أولهما: أن الهدف من كتابة هذا الموضوع ليس التشهير، بل هو الإصلاح وإظهار آراء الجانب الآخر الإيجابي من مجتمع بلاد الحرمين قدوة العالم الإسلامي، وثانيهما: أن نقتدي بالنهج القرآني الذي أخبر عن صفات المنافقين ولم يعلن عن أسمائهم، رغم خطورتهم ووضوح أهدافهم التي تظهر في أقوالهم وأفعالهم.

ولكننا في الوقت ذاته لن نقف أمام عقبة الذين يطالبون بأن لا نطلق الألقاب على مستحقيها، بحجة أن هذا الأمر يساهم في تمزيق اللحمة الوطنية، فما العمل أمام إصرار هؤلاء على السير في طرق الأفعال والأقوال والكتابات التي تلصق بصاحبها تلك التسميات الممقوتة؟ ثم لماذا إنكار ظاهرة واضحة كشمس الظهيرة؟ فإذا كان الإسلام بيّن لنا أنه في عزّ قوته كان يوجد في مجتمعه آنذاك منافقون ومشركون ويهود ونصارى، فلماذا في عصرنا الحالي الشفاف المنفتح نلجأ إلى التعتيم الذي لا يتلاءم مع واقع الحال الجليّ؟!

ومن المثير للعجب أن هؤلاء يسمون أنفسهم (التنويريين) سفهاً وغروراً، مدّعين أن كتاباتهم وآراءهم وأفعالهم تحمل صفة

(التنوير)، أما المحافظون أو المتدينون فيطلقون عليهم صفة (الظلاميين)، الذين يعيشون في عصور الرجعية والظلام بحسب ادعاءاتهم المنحرفة عن الحق[1].

[1] انظر على سبيل المثال لا الحصر: مقالا ساخرا لأحدهم حول تفسير هذا المعنى السلبي الذي يتكرر في كتاباتهم وكتاباتهن، بعنوان : (معارك التنويريين في معرض الكتاب)، بصحيفة الرياض: العدد ١٥٩٦٠، الاثنين ١٢/٤/ ١٤٣٣هـ.

# طرق الليبراليين في قضايا المرأة

١) في كثير من بلدان العالم يحدث التغيير فيها بذكاء وهدوء وتدرج لعدم استثارة المجتمع بالتغيير الفجائي الذي يرفضه أي عاقل فكيف بالمجتمع المتدين؟ ولكن العجيب أن الليبراليين السعوديين وداعميهم هبّوا في مطالبهم بعواصف محمومة حمقاء، متوهمين أنهم بذلك سيفرضون آراءهم المنحلة على مجتمعنا المسلم؛ مما جعله ينفر منهم ومن أطروحاتهم وأساليبهم المستفزة، فينصرف عنهم وعن الأوعية التي يقذفون فيها غثاءهم.

٢) كما أن من أساليبهم استكتاب وتشجيع الليبراليين والليبراليات من عائلات دينية معروفة فيبرزونهم ويلمعونهم وينشرون آراءهم الفجة التي تتحدى الدين والمجتمع بصفاقة بينة، ويعينوهم على نشر الشبهات واستغلالها بطرق ملتوية، وذلك من باب (وداوها بالتي كانت هي الداء)، لكي يحاربون العلماء بأبنائهم وأحفادهم، وينفرون المجتمع منهم ومن الدعوة.

٣) ومن الوسائل (المكشوفة) لهؤلاء الليبراليين في دعاواهم الباطلة: هو توحيدهم لطرح الموضوعات الدينية أو الاجتماعية أو النسائية المهمة، بحيث يناقشها عدة كتاب

وكاتبات بنفس الأساليب والأفكار بل والجمل والعبارات ذاتها، ليس في صحيفة أو مجلة واحدة بل في جميع الصحف المحلية بهجمة شرسة تفتقد الموضوعية واحترام الطرف الآخر مهما علا قدره، ومهما كان أكثر منهم علما وأدق منهم تخصصا، وذلك لكي يشعروا الناس والدولة بأنها قضية رأي عام يعرضها الإعلام باهتمام.

٤) كما أن من وسائلهم البارزة المثيرة للفتن والانقسامات: وسيلة إقصاء المتدينين والمحافظين بل والمعتدلين رجالا ونساء بأساليب ظلم ملحوظ، ولم يتعاملوا معهم على أنهم أبناء وطن واحد، والغريب أنهم أنفسهم كانوا يشكون في السابق من أن التيار الديني يعمل على إقصائهم! وهذا الإقصاء أكثر ما يبرز في عالم الصحافة، حيث بدت في السنوات الأخيرة وكأنما أُنشأت من أجل الكاتبات والكتاب التغريبيين، الذين ينشرون آراءهم فيها، تلك الآراء التي تتعرض للعقيدة والأخلاق مدّعية بأن هذا هو التغيير السائر نحو إصلاح المجتمع، متجاهلين عمدا أو عن غير عمد بأن هذا هو الإفساد والمسخ ذاتهما.

ولا يقتصر أسلوب الإقصاء هذا على أحد دون أحد أو طبقة دون أخرى، بل إنه يشمل كل صاحب أو صاحبة فكر متدين، من كافة الطبقات الاجتماعية والعلمية، أما إذا تفضلوا على أحد منهم بالسماح بالكتابة فإنهم يفرضون عليه أو عليها

شروطهم المجحفة، حتى تبدو كتاباته فاترة لا طعم ولا مذاق لها، ولا فائدة ترجى من ورائها، فلا يبرز إبداعه ولا تأثيره، ومن يلقي ولو نظرة سريعة على صحفنا في الأعوام الأخيرة يرى ذلك كله بوضوح، فكم من كاتب مبدع رفضوه، وكم من كاتبة ناجحة أُقصيت بعد أن كانت معروفة بكتاباتها الطموحة في ذلك الموقع أو تلك الصحيفة. ليس ذلك فحسب بل إنهم يرفضون حتى نشر أخبار تفوّق النساء الصالحات في المجالات العلمية والعملية، بينما يسارعون في إبراز من هي على شاكلتهم بتحقيقات دعائية حتى لو كان تفوقا مقيتا أو تافها.

٥) ولم يقتصر أسلوب تلميع العلمانيين والعلمانيات على الصحافة فقط، حيث إن العدوى قد انتقلت إلى الجوانب الثقافية كلها من مؤتمرات وندوات وأندية أدبية ومعارض للكتاب، بل إن بعض العلمانيات يقدمن على المثقفة المحافظة حتى لو كانت تفوقها في المستوى العلمي والفكري والأسلوبي!

ويدعم هذه الآراء ما أكده أحد الباحثين المتخصصين بقوله[1]: (لقد احتضن التيار التغريبي عددا من الفتيات اللاتي أصبحن

---

[1] الدكتور عبد العزيز بن أحمد البداح، كتاب حركة التغريب في السعودية : تغريب المرأة أنموذجا، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ص ٦١-٦٢.

فيما بعد رموزا وأدوات مؤثرة في حركة تغريب المجتمع السعودي منذ أن كنّ في العقد الثاني من أعمارهن ومكنهن من الكتابة في الصحافة المحلية ومنحهن أعمدة وزوايا بارزة فيها، وفي مجال الإبراز والتصدير قام التيار التغريبي بتصدير رموزه وأدواته يكتبون في الصحف ويستضافون في التلفاز المحلي والقنوات الفضائية والأندية الأدبية والمؤتمرات الفكرية، والاهتمام بنشر كتبهم ونتاجهم الفكري، وكذلك في مجالات التكريم ومنح الجوائز، بل إن المتابع للحركة الثقافية في المجتمع ينتابه شعور أن المثقفين في السعودية هم مجموعة تتكرر أسماؤهم في معظم الأماكن والمنتديات، رغم أن نسبة ليست بالقليلة منهم لا تحمل إلا مؤهلات علمية دنيا، أما من جهة مستوى الكتابة فإن نظرة واحدة لمقالات القوم تجعل النظر يرتد وهو حسير، إذ هي محشوة بالتراكيب الضعيفة والألفاظ الركيكة والأخطاء النحوية واللغوية، فإذا كان هذا هو المستوى العلمي والعملي لهذه الفئة فمن الذي دفعهم و قدمهم سوى الدعم والتوجيه، رغم أن الولاء عندهم - في الغالب - للفكرة وحدها وليس للوطن أو المنطقة أو العرق، كما أن من الملاحظ أنه كلما كانت الشخصية التغريبية أكثر تمردا على القيم، ومهاجمة الدين في مقالاتها ورواياتها وكتبها كلما كان حظها من الدعم أوفر ومن المساندة أكبر ومن الرعاية أعظم).

**وهذا والله خطأ فادح يجعل من صحافتنا وبعض وسائلنا الإعلامية والفكرية والثقافية تبدو كأنها تسير معاكسة لما عليه سياسة دولتنا وتعاليم ديننا ووحدة مجتمعنا، مائلا شقّها ميلا ملحوظا للعيان، قد يساهم في شرخ مجتمعنا وبلادنا شرخا ليس بالهين، مما يستدعي من الجميع إصلاح الوضع قبل فوات الأوان، وذلك عن طريق الوسطية والاعتدال والتوازن.**

## حجاب المرأة تشدد وتضييق عليها

أول تلك القضايا وأهمها لأنها هي التي ستفتح لهم أبواب الآمال التخريبية، هي (قضية الحجاب)، فالحجاب عدوهم الأكبر الذي يسعون لإسقاطه بكل السبل، ففي البداية يوهمون المجتمع بأنهم يدعون لإزاحة الحجاب عن (الوجه فقط) لأن هناك من الفقهاء من أفتى بجواز كشفه، ولأنه قد يعيق المرأة في مسيرتها، ثم أثبتت الأحداث أنها لديهم سبيلا للوصول إلى ما هو أشد وأنكى، فحركة التغريب تتخذ من المطالبة بنزع الحجاب بداية إلى طريق التعري والانحلال، والدلائل على ذلك عديدة، منها: تشبيهاتهم للباس الساتر المخفي لمفاتن المرأة بأسوأ التشبيهات الساخرة الحاقدة في بعض كتاباتهم مثل: كيس الفحم، أو الخيمة السوداء، أو الخرسانة المسلحة، متجاهلين أنه هكذا يكون الشيء الثمين محفوظا في مكان أمين، وهل هناك أثمن من الشرف وما يترتب عليه من مكاسب دينية وإنسانية واجتماعية، كما أطلقت كاتبات أخريات على حجاب الستر صفات سوء أخرى مثل: السواد الحزين والتواري فيه كالشيطان، وشبهته أخرى بطائر

أسود ضخم، إذن فالمسألة ليست مجرد كشف غطاء وجه، بل هو كشف مستور نواياهم ومعتقداتهم المائلة نحو الشهوات[1].

كل هذا رغم أن المفسرين للقرآن الكريم قد أجمعوا قديما وحديثا على وجوب تغطية الوجه، والذي يتضح في تفسير قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب ٥٩].

حيث يقول ابن كثير رحمه الله: (قال تعالى آمراً رسوله - تسليما - أن يأمر النساء المؤمنات عموماً وأزواجه وبناته خصوصاً بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وعن الإماء. والجلباب هو الرداء فوق الخمار، قال بذلك: ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو بمنزلة الإزار اليوم، قال الجوهري: الجلباب هو الملحفة، وقالت امرأة من هذيل ترثي قتيلا لها:

---

[1] انظر شبكة المحمل : تغريدات إحدى الليبراليات التائبات عن محاولة حرق الحجاب عند أحد المجمعات الشهيرة، واستعداد إحدى القنوات التغريبية لتصويره.

تمشي النسورُ إليه وهي لاهية

مشي العذارى عليهنّ الجلابيبُ

وكما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن - في حاجة - أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة، وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل {يدنين عليهن من جلابيبهن} فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى، وقال عكرمة: تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها، كما حدث ابن أبي حاتم عن رواية صفية بنت شيبة عن أم سلمة أم المؤمنين أنها قالت: لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها)[1].

وقد نشر بعض دعاة تحرير المرأة كثيرا من الشبهات المعاصرة التنفيرية من الحجاب، ومن أكثرها شيوعا، الشُبهات الآتية:

---

[1] تفسير ابن كثير، طبع مكتبة دار السلام بالرياض، ج ٣، سورة الأحزاب، وكذلك انظر تفسير آية الحجاب في سورة الأحزاب للطبري في جامع البيان ط دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

حيث قالوا: إن حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع، إذّ إن الإسلام يأمرها أن تبقى في بيتها. والجواب عليها يتمثل فيما يلي:

١) إن الأصل في المرأة أن تبقى في بيتها، قال الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلأُولَىٰ} [الأحزاب ٣٣]. ولا يعني هذا الأمر إهانة المرأة وتعطيل طاقاتها، بل هو التوظيف الأمثل لطاقاتها الفطرية التي اختصها الله بها.

٢) وليس في حجاب المرأة ما يمنعها من القيام بما يتعلق بها من الواجبات، وما يُسمح لها به من الأعمال، ولا يحول بينها وبين اكتساب المعارف والعلوم، بل إنها تستطيع أن تقوم بكل ذلك مع المحافظة على حجابها وتجنبها الاختلاط المشين.

وكثير من الفتيات والنساء اللاتي ارتدين الثوب الساتر وابتعدن عن مخالطة الرجال قد أحرزن قصب السبق في مضمار الحياة، وكن في موضع تقدير واحترام من جميع المحيطين.

٣) بل إن خروج المرأة ومزاحمتها الرجل في أعماله وتركها الأعمال التي لا يمكن أن يقوم بها غيرها هو الذي يعطل نصف المجتمع، بل هو السبب في انهيار المجتمعات وفشو الفساد وانتشار الجرائم وانفكاك الأسَر، لأن مهمة رعاية النشء

وتربيتهم والعناية بهم - وهي من أشرف المهام وأعظمها وأخطرها - أضحت بلا عائل ولا رقيب.

والشبهة الثانية: زعموا فيها أن السفور حقّ للمرأة، سلبها إياه المجتمع، أو سلبها إياه الرجل الأناني المتحجر المتزمت، ويرون أن الحجاب ظلم لها وسلب لحقها في الحرية :

والجواب على ذلك يظهر في التالي:

١) لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع قضيتها ضدّه لتتخلّص من الظلم الذي أوقعه عليها، كما كان وَضعُ القضية في أوروبا بين المرأة والرجل، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخالقها الذي لا تملك - إن كانت مؤمنة - أن تجادله سبحانه فيما أمر به أو يكون لها الخيرة في الأمر، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } [الأحزاب ٣٦].

٢) إن الحجابَ في ذاته لا يشكل قضية، فقد فرض الحجاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفذ في عهده، واستمر بعد ذلك ثلاثة عشر قرنًا متوالية وما من مسلم يؤمن بالله ورسوله يقول: إن المرأة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلومة.

فإذا وقع عليها الظلم بعد ذلك حين تخلّف المسلمون عن عقيدتهم الصحيحة ومقتضياتها فلم يكن الحجاب - بداهة - هو منبع الظلم ولا سببه ولا قرينه، لأنه كان قائما في خير القرون على الإطلاق، وكان قرين النظافة الخلقية والروحية، وقرين الرفعة الإنسانية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية كله.

وأما الشبهة الثالثة الشهيرة: فهي زعم أعداء الحجاب أنه رمز من رموز التطرف والغلو، وعلامة من علامات التنطع والتشدد، مما يسبب تنافرا في المجتمع وتصادما بين الفئتين، وهذا قد يؤول إلى الإخلال بالأمن والاستقرار.

والجواب على ذلك :

١) إن هذه الدعوى مرفوضة من أساسها، فالحجاب ليس رمزاً لتلك الأمور، بل ولا رمزا من الرموز بحال، لأن الرمز ما ليس له وظيفة إلا التعبير عن الانتماء الديني لصاحبه، مثل الصليب على صدر المسيحي أو المسيحية، والقلنسوة الصغيرة على رأس اليهودي، فلا وظيفة لهما إلا الإعلان عن الهوية، أما الحجاب فإن له وظيفة معروفة وحِكَما نبيلة، هي الستر والحشمة والطهر والعفاف، ولا يخطر ببال من تلبسه من المسلمات أنها تعلن عن نفسها وعن دينها، لكنها تطيع أمر ربها، فهو شعيرة دينية، وليس رمزا للتطرف والتنطع.

٢) ثم إن هذه الفرية التي أطلقوها على حجاب المرأة المسلمة لماذا لم يطلقوها على حجاب الراهبات؟! لماذا لم يقولوا: إن حجابَ اليهوديات والنصرانيات رمز للتعصب الديني والتميز الطائفي؟! لماذا لم يقولوا: إن تعليق الصليب رمز من رموز التطرف الديني وهو الذي جرّ ويلات الحروب الصليبية؟! لماذا لم يقولوا: إن وضع اليهودي القلنسوة الصغيرة على رأسه رمز من رموز التطرف الديني وبسببه يحصل ما يحصل من المجازر والإرهاب في فلسطين المحتلة؟!

إن هذه الفرية يكذّبها التاريخ والواقع، فأين هذه المفاسد المزعومة والحجاب ترتديه المرأة المسلمة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا؟!

٣) إن ارتداء المرأة للحجاب تم من منطلق عقدي وقناعة روحية، فهي لم تلزَم بالحجاب بقوة الحديد والنار، ولم تدعُ غيرها إلى الحجاب إلا بالحكمة والحجج الشرعية والعقلية، بل عكس القضية هو الصحيح، وبيان ذلك أن إلزام المرأة بخلع حجابها وجعل ذلك قانوناً وشريعة لازمة هو رمز التعصب والتطرف اللاديني، وهذا هو الذي يسبب التصادم وردود

الأفعال السيئة، لأنه اعتداء على الحرية الدينية والحرية الشخصية.[1]

ويذكر لنا صاحب حراسة الفضيلة فوائد الحجاب ومصالحه وغاياته، وهي فضائل عديدة نوجزها فيما يلي: حفظ الأعراض والكرامة، وطهارة القلوب من أدران الفساد، توفير مكارم الأخلاق وتجنب مساوئها، علامة العفة والبعد عن الريبة لأن صلاح الظاهر ينبئ عن نظافة الداخل، تشجيع للحياء الذي هو شعبة من الإيمان، و كذلك هو قطع للأطماع والخواطر الشيطانية وكف للأعين الخائنة، وحصانة ضد الزنا الذي هو تعاسة للأسر ودمار للمجتمعات، كما أنه دعوة للغيرة البناءة والحفاظ الخلقي.[2]

أما ما هي الوسائل التي أبرزت أفكار الليبراليين المستفزة تلك، فهي وسائل الإعلام المتعددة من مكتوبة ومرئية ومسموعة، وكبيرتهم في ذلك (الصحافة) التي سهلت لهؤلاء كافة الوسائل للتعبير عن آرائهم المستفزة المتواطئة مع بعضها البعض، فإذا عزموا على مهاجمة موضوع ديني أو شخص محافظ، نراهم

---

[1] انظر موقع صيد الفوائد، شبهات حول المرأة.

[2] الشيخ بكر عبدالله أبو زيد، حراسة الفضيلة، موضوع فضائل الحجاب، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ، نشر دار العاصمة، الرياض، ص ٨٤-٨٦.

يستخدمون أسلوب الهجوم الجماعي الإرهابي الفكري بشكل مكشوف، وفي عدة صحف، فتفرد لهم تلك الصحف المتواطئة أفضل المواقع وأبرز الزوايا وأكبر وسائل الدعاية وأجزل المكافآت المادية والمعنوية.

بينما الصوت المحافظ فهي تمارس معه الإقصاء التام، ولو وجد بينهم كاتب معتدل أو كاتبة وسطية فإنها تستخدم معهم جميع وسائل التنفير والمضايقات والشروط المتعسفة، والتقليل من القيمة والأهمية، حتى تصبح كتاباتهم محاصرة باهتة قليلة الحيلة، لا طعم لها ولا ذوق، فصار الكاتب أو الكاتبة الذي يرضى لنفسه بتلك الإهانات ليس إلا مسخا، يتشفّى ويتشمّت فيه الليبراليون الحاقدون المتمكنون.

والمؤلم أنه قد حرص إعلامنا عامةً والصحافة خاصةً على نشر صور النساء السعوديات اللاتي خلعن الحجاب، وإبرازهن، وإضفاء الألقاب عليهن، وإجراء المقابلات معهن، كما قامت الصحافة بتناقل الأخبار وإجراء المقابلات مع عدد من الممثلات والمغنيات والمذيعات السعوديات والمتسعودات وهن متبرجات بشكل واضح للعيان، وأبرزت أنشطة جميع السافرات، وتجاهلت بكل ظلم أخبار وأنشطة المحافظات والمتدينات السعوديات وكأنهن لسن في وطنهن، أو كأن الصحف بإقصائهن هذا تريد إشعارهن بأنهن منبوذات، والأدلة على

ذلك عديدة ظاهرة لا تحتاج لتبيان لأن المجتمع اكتشف وسائل تلك الصحف فكرهها وهجرها حتى أصبحت تباع بأساليب الحراج والتخفيضات والاستجداء، فلا يقبل أحد على شرائها.

إضافة إلى دعم بقية وسائل الإعلام لحركة الصحافة العنيفة ضد الحجاب، مثل بعض المسلسلات التي نالت شهرتها بتجديفها عكس التيار الديني والاجتماعي والأخلاقي في البلاد، وذلك من خلال تعرضها للمسلّمات الدينية والثوابت الشرعية في كل ما يخص المرأة السعودية المسلمة.

## اختلاط النساء بالرجال

أما الخطوة الخطيرة الثانية التي تحمس لها الليبراليون والليبراليات على حد سواء، كنتيجة للخطوة الأولى: فهي المطالبة بعدم فصل الجنسين، وذلك عن طريق (فرض الاختلاط بين المرأة والرجل في كل المجالات)، بداية في أماكن العمل لدعم التنمية عن طريق الاستفادة من طاقات الأنثى، وكأن الدولة والمجتمع قد جعلا من المرأة عضوا مشلولا، محروما من التعليم والعمل، متجاهلين بأنها حصلت على أعلى الشهادات العلمية، وخدمت وطنها في أرقى الدرجات الوظيفية التي تلائم طبيعتها وتستطيع فيها القدرة على الإنتاج البنّاء، وما من وزارة رسمية أو مؤسسة وطنية إلا كان للمرأة السعودية ضلع إنتاج ويد بناء على الوجه الذي لا يتعارض مع تعليمات دينها المحافظ على كرامتها.

نقول ذلك لأنه ظهرت الأهداف الباطنة لهؤلاء التغريبيين الذين جاهروا بعد ذلك بالمطالبة بالاختلاط بين الرجل والمرأة في كافة المجالات بدءاً من المجالات العلمية والعملية، وانتقالا إلى المجالات الرياضية بل والترفيهية، ونهاية بكل جوانب الحياة جدها وهزلها، أي أنها دعوة لإقامة العلاقات الإباحية بين الذكر والأنثى وعودة إلى عصور الجاهلية واختلاط الغاب، حتى أن أحدهم قد جاهر مخاطباً النساء اللاتي يحاضر لهن عبر

الشاشة التلفزيونية المغلقة، قائلا: لماذا تحرمننا من رؤية تلك الوجوه الجميلة؟!.

وقد (تعددت وسائلهم في ذلك)، تارة عن طريق التفيقه الديني ودس أنوفهم في أحكام الشريعة دون تخصص أو تعمق، وتارة بإثارة الشبهات المتنوعة، التي من أبرزها:

١) التشجيع على الاختلاط: حيث يرى الليبراليون أن هناك فروقا شاسعة بين الخلوة الخاصة المحرمة وبين الاختلاط العام المباح على إطلاقه، حسب آرائهم المفصلة على مقاييسهم البشرية الناقصة، التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قول أحدهم: (إن الاختلاط بين الجنسين هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها)، مستدلا على ذلك بتشبيه عجيب وهو: (إن المجتمع الحيواني - وهو على الفطرة - ليس قطيع إناث منفصل عن قطيع الذكور)![1]، فكأنه بذلك شبه عالم البشر - الذين كرمهم الله تعالى - بحياة البهائم التي لا عقل ولا دين لها، يضيع فيها الشرف والنسب اللذين كرم الله بهما ذرية آدم عليه السلام.

---

[1] انظر هذا المقال بمجلة (المجلة)، المحسوبة على الإعلام السعودي، العدد ١٢٤٨، ت ١٤٢٤/١١/٢٥ هـ.

٢) وفي طرح ليبرالي غريب آخر، بل ومتكرر لدى العديد من الكتاب والكاتبات، نراهم قد جعلوا الخلوة والاختلاط مفهومان مرتبطان ببعض يحتاجان إلى إعادة نظر فقهي، وأن ذلك سبب عرقلة المجتمع السعودي وصد للمرأة السعودية عن المساهمة في بنائه[١].

٣) كما أنه من ضمن وسائلهم التي يحثون بها على الاختلاط: الاستدلال بتجارب الدول الأخرى في تطبيق الاختلاط، ثم إضفاء المدائح على تلك التجارب وإعطائها كذبا وزورا صفات النجاح، والرغبة في أن تتخذها بلادنا قدوة، متناسين أن أهل بلاد الحرمين هم قدوة العالمين، وليس الآخرين هم القدوة لهم، بيْد أن هؤلاء الأشخاص مستميتون في أن لا تكون لنا هذه الخصوصية وهذا الشرف الديني والدنيوي، في سبيل شهواتهم الخاصة، ولتنفيذ أجندات الأعداء المسيرين لهم سواء بأسلوب مباشر أو غير مباشر، إضافة إلى أن تلك البلاد التي سبقتنا في تجربة الاختلاط تئنّ أنين الندم من نتائج تلك التجارب، بل إن بعضها تحاول العودة لسبل الفطرة السوية.

---

[١] انظر صحيفة عكاظ، كتّاب ومقالات، العدد ٢٥٤٦ ت ١٤٢٤/٣/٢٧هـ.

٤) ومن ضمن أطروحات الليبراليين في الإقناع بأهمية الاختلاط هو: ادعاؤهم محاولة إنقاذ المرأة من البطالة، مع إن البطالة تطال الشباب أكثر من الفتيات سواء في مجتمعنا أم في المجتمعات الأخرى، إن هذا الكلام لو قيل في مجتمع يخلو من بطالة الرجال لربما كان له حظ من النظر، لكن أن يقال في بلد تبلغ نسبة بطالة الشباب فيه نسبة عالية جداً فهو أمر مستهجن، لاسيما وأن الرجل هو المكلف بالنفقة على المرأة التي اختصها الخالق بأدوار أخرى لا تقل أهمية عن دور الرجل[١].

٥) والعجيب أن بعض الكتاب الصحفيين قرر أن (مصطلح الاختلاط) من المحدثات في الشريعة بعبارات مختلفة، حيث قال: الاختلاط هو ما لا يُعرف في قاموس الشريعة، وقال: هو بدعة مصطلحية لا تعرف في مدونات أهل العلم. والرد عليه:[٢] أن هذا ليس من التحقيق والتحري، لأن النصوص في جميع القرون من الصدر الأول إلى يومنا هذا لا

---

[١] انظر مجلة البحوث الإسلامية، حكم عمل المرأة، العدد ٩٦، ص ٣٤٠.

[٢] انظر كتاب الاختلاط للعلامة الشيخ عبدالعزيز الطريفي، والذي نال أكبر نسبة مبيعات في معرض الكتاب مما يدل على قيمته العلمية، وارتفاع نسبة الوعي المجتمعي الذي لا ينخدع بالهجوم الإعلامي من قبل بعض الجهلة.

**يخلو قرن من بيان الاختلاط وتحريمه بل وفي سائر المذاهب الفقهية مع الإقرار بأن الفقهاء في سائر القرون:**

**تداولوا هذا المصطلح خاصة وما في حكمه ومعناه. مع ثبوت مصطلح الاختلاط في دواوين السنة والسلف والفقهاء إلا أن التغافل عن المعاني متفق عليه شرعا. أما (الإجماع): فيكفي المنصف بأنه لا يُعلم على مر قرون الإسلام الخمسة عشر من قال من العلماء بجواز الاختلاط في المجالس والتعليم والعمل. وقد تحصلتُ على مائة عالم وفقيه عبر القرون يقطعون بعدم الترخيص فيه بل بعضهم يسقطون عدالة فاعله.**

**أما الاختلاط (في السنة): ففي السنة تبلغ الأدلة حد التواتر، ومن ذلك:**

**١. ما رواه البخاري عن ابن جريج قال: قلت لعطاء كيف يخالطن الرجال قال: لم يكن يخالطن؛ كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حجرة من الرجال لا تخالطهم[١].**

---

[١] الراوي: عطاء بن أبي رباح، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ١٦١٨، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

**٢. ما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس للنساء وسط الطريق)[١]. وهذا في الطريق فكيف بالجلوس؟!**

**٣. ما أخرجه البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت)[٢]. وهذا خطاب للرجال واحدا أو جماعة أن لا يدخلوا على النساء، لأن الغالب في الدخول في البيوت: المكث والجلوس والقرار، ويدخل في هذا التعليم والعمل لاشتراكهما في العلة.**

**٤. حديث عند البخاري: (قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن)[٣]، فهؤلاء الصحابيات علمن أن مجامع الرجال ليست لهن، وهنّ قدوة لسواهن.**

---

[١] الراوي: أبو هريرة وأبو عمرو بن حماس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٥٤٢٥، خلاصة حكم المحدث: حسن.

[٢] الراوي: عقبة بن عامر، المحدث: البخاري ومسلم، المصدر: الصحيحين، الصفحة أو الرقم: البخاري ٥٢٣٢ مسلم ٢١٧٢.

[٣] الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ١٠١، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

٥. ما جاء من الأمر بغض البصر، وهذا في الأمر العارض على البصر لا الدائم، فلا يليق عقلاً وشرعاً أن يؤذن لرجلٍ بمخالطة امرأة ساعات في مقر دائم ثم يؤمر بأن لا يراها! فهذا إفراغ للأمر والنهي في معناه ومحتواه وتكليف بما لا يطاق.

إلا أن من أهم الأسباب التي يقع فيها مجيز الاختلاط:

الجهل بالناسخ والمنسوخ، والتدليل بنص منسوخ، وهذا عكس الشريعة: كمن يستدل بوقائع في كشف الوجه وهي أي الواقعة قبل فرض الحجاب! وهلم جرا.

ومع ذلك فإن هناك كثير من النصوص التي يستدل بها الناس على جواز الاختلاط، ولكن منها التي قبل فرض الحجاب، ومنها قبل منع الاختلاط، وقد ساق الشيخ الطريفي العديد من هذه الأدلة، لعل أهمها:

١) من يستدل بما جاء عن عائشة أم المؤمنين قالت: (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش...)[١] الحديث. يُجاب عن الحديث بقول الحافظ البيهقي في الآداب بعد

---

[١] الراوي: عائشة أم المؤمنين، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٢٩٠٦، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

إخراج هذا الحديث: (وكان ذلك قبل نزول الحجاب)، وكذلك قاله الحافظ ابن رجب في الفتح والقاضي عياض في المعلم. ويجاب عنه كذلك بأن العرب تُغلّب لفظ الجارية على الأمة غير الحرة أو الحرة التي دون سن البلوغ، فإذا بلغت تسمى امرأة، قالت عائشة: (إذا بلغت الجارية تسع فهي امرأة)، ويوضح ذلك أنها قالت في رواية أخرى: (وعندي جاريتان من جواري الأنصار) تعني إمائهم.

٢) أما الاستدلال بما جاء عن الربيع بنت معوذ أنها قالت (دخل علي النبي..... فجلس على فراشي كمجلسك مني.)[١]. الحديث.. فقد كان قبل فرض الحجاب، فالربيع خطبها إياس بن بكير قبل غزوة بدر، في السنة الثانية للهجرة وقد أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم، والحجاب فرض بعد ذلك، فكيف يُستدل بهذا على ذلك والحُكم نزل بعد. وكذلك الربيع بنت معوذ كانت عجوزاً معمرةً كما قاله الذهبي في تاريخ الإسلام.

---

[١] الراوي: الربيع بنت معوذ بن عفراء، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٤٠٠١، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

٣) الاستدلال بحديث عائشة رضي الله عنها: (خرجت سودة بنت زمعة ليلاً...)[١]، فالجواب هو: أن هذه الواقعة قبل الحجاب، ولا أحد من أهل العلم يمنع من خروج المرأة لحاجة، كما أن خروجها ليلاً دليل على الحشمة.

٤) الاستدلال بحديث سهل بن سعد وفيه: (كانت فينا امرأة تجعل على أربعاء في مزرعة لها سلقا، فكانت إذا كان يوم جمعة... وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه)[٢]. فالجواب عنه: أنهم كانوا صبيان لم يبلغوا؛ فسهل بن سعد كان دون البلوغ، قال الزهري: كان له يوم توفي الرسول خمسة عشر سنة، فكيف لأحد أن يثبت أنّ من معه ليسوا حدثاء مثله ورفيق الصبي صبي.

٥) وأما الاستدلال بأحاديث خروج النساء في الغزو، فيجاب عنه: بأنهن قطعا كنّ مع أزواجهن، وكنّ خلف الرجال في الحرب، كما كنّ يساعدن الجريح لا الصحيح.

---

[١] الراوي: عائشة أم المؤمنين، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٥٢٣٧، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

[٢] الراوي: سهل بن سعد الساعدي، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٩٣٨، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

٦) أما الاستدلال بأحاديث شهود النساء المسجد فيجاب عنها بأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لهن ووضع لهن احتراز وهو قوله: (خير صفوف النساء آخرها)[١]، كما أنه ضبط أفعالهن وأقوالهن بأمره: (التسبيح للرجال والتصفيق للنساء)[٢]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأخر بعد السلام ويأمر أصحابه حتى تنصرف النساء فلا يختلطن بالرجال.

أما الاحتجاج بالطواف وأنّ الرجال والنساء يطوفون جميعا: فهذا احتجاج من جهِلَ الشرع والتاريخ واتبع المتشابه. أما الشرع: فهذا من خصوصيات مكة بإجماع المفسرين؛ قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ} [آل عمران ٩٦]. أخرج البيهقي عن مجاهد قال: إنما سميت بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضا وأنه يحل فيها ما لا يحل في غيرها، بل يُعفى عن السترة فيما لا يعفى عن غيرها، قال جرير: عن عطاء عن أبي جعفر قال: مرَّت امرأة بين يدَي رجل وهو يصلي وهي تطوف فدفعها فقال أبو جعفر إنها بكة يبكّ بعضها ببعض. وأما

---

[١] الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجه، الصفحة أو الرقم: ٨٢٦، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

[٢] الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ١٢٠٣، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الجهل بالتاريخ: فإن النساء كُنَّ يطفن مجتمعات حجرة عن الرجال لا معهم، وهذا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر، وكان عمر يضرب الرجل الذي يطوف وسط النساء كما رواه الفاكهي عن طريق زائدة عن إبراهيم النخعي قال: (نهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء، قال: فرأى رجلا يطوف معهن فضربه بالدرة). كذلك التعليم، كان في صفة دقيقة عجيبة، ففي الصحيحين عن مسروق بن الأجدع قال: (سمعت عائشة وهي من وراء الحجاب)، وذكر البخاري في تاريخه: قال عبدالله الباهلي: (رأيت ستر عائشة في المسجد الجامع تكلم الناس من وراء الستر وتُسأل من وراء حجاب). أما الاحتجاج بالأسواق والبيع والشراء، فهي طرقات لا مواضع جلوس وقرار، فضلا عن الخلوة، ومع هذه الاستثناءات لم يرتضها الصحابة، وإنما خففوا منها بلا مبالغة للحاجة، روي عن أحمد عن علي قال: (بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج في السوق، أما تغارون! ألا إنه لا خير فيمن لا يغار).[1]

ورغم كل تلك القناعات الواقعية والشرعية، إلا أن أولئك الليبراليين من إعلاميين وغيرهم وصلوا إلى حد أن طالبوا

---

[1] انظر مختصر كتاب الاختلاط للشيخ الطريفي، لطالب العلم سعود بن عبدالله الوشيقري على موقعه الإلكتروني.

الدولة بفرض الاختلاط فرضا على المجتمع سواء في التعليم أو العمل.[1]

ولم يكتفوا بإلقاء اللوم والاتهام على الدولة والمجتمع فحسب، بل هاجموا المرأة ذاتها حينما قالت إحدى الكاتبات المتحمسات للاختلاط ملقية باللوم على الفتاة السعودية نفسها: (أرى أن المشكلة تتحدد بأن نسبة كبيرة من الفتيات السعوديات المتعلمات واللاتي يبحثن عن عمل ممن حاورتهن مازلن غير واقعيات في التعامل مع المشكلة)! لماذا؟! (لأنهن يبحثن عن العمل في المجالات التقليدية مثل مجال التعليم؟! لكي يضمنّ فيه عدم الاختلاط بالرجال)![2] وقد ازداد هذا الأمر في الآونة الأخيرة ازديادا ملفتا حيث أصبحوا يهاجمون المحتسبين إذا حاولوا فض اختلاط عملي، ومثال ذلك حينما منعوا وجود النساء في نادي جدة الأدبي الذي رفض وصاية المحتسبين، ودافع عن الموجودات في النادي مع الرجال دفاعا قويا.[3]

---

[1] انظر صحيفة عكاظ، كتّاب ومقالات، العدد ١٢٤٣، ت ١٤٢٤/٨/٢٩هـ، وكذلك انظر مثل هذه الآراء في جريدة الرياض، ع ٣٦٧٩١ ت ١٤٢٦/١١/٤هـ.

[2] انظر صحيفة الوطن، العدد ٢٧٤٣، تاريخ ١٤٢٩/٣/٢٦هـ.

[3] انظر صحيفة الشرق المطبوعة، العدد ٣٨٩، ص ٢٩، تاريخ ٢٠١٢/١٢/٢٧ م.

وبهذا التصعيد الإعلامي المستمر الذي ذكرنا منه غيضا من فيض، صار الاختلاط مطبقا في معظم المجالات في بلادنا، بشهادة الباحثين المتخصصين ومنهم الدكتور عبدالعزيز البداح في كتابه حركة التغريب في السعودية، حيث قال:

(أصبح الاختلاط بين الجنسين - مع عظيم الأسف - في السنوات الأخيرة واقعاً ملحوظاً في العديد من المجالات الداخلية والخارجية، والنماذج على ذلك كثيرة، مثل ابتعاث المرأة الخارجي، ومشاركتها الوفود الرجالية في المهمات الخارجية، وشاركت الرجال في عضوية إدارات الغرف التجارية والأندية الأدبية والمصارف البنكية، والمؤتمرات الطبية والندوات الاقتصادية التي تبث للمشاهد وتستضيف كلا الجنسين، وهذا لم يقع إلا في السنوات المتأخرة).

# المحرم وقوامة الرجل على المرأة

ومن المطالب الخطيرة الجريئة لليبراليين والليبراليات في بلاد الحرمين القدوة، هو المطالبة للمرأة السعودية بالحرية المطلقة التي بلا حدود، وذلك عن طريق تخليصها من جميع القيود الدينية والاجتماعية، وفي مقدمتها إلغاء قوامة الرجل عليها إلغاءً تاماً، متذرعين بأنه أكبر قيد للمرأة، مثيرين حوله بعض الشبهات التي تدل على قصور علم شرعي، مع إنه أمر رباني شرع لمصلحة المرأة المسلمة والحفاظ على كرامتها وراحتها وسمعتها، حيث قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء ٣٤]، فجعل تعالى شرط القوامة أداء الواجب الرجولي وفي مقدمته الإنفاق على امرأته سواء أكانت زوجة أو أُما أو أُختا أو ابنة، لأنه هو المتفرغ للسعي وطلب الرزق الذي قد يكون محفوفا بالمخاطر والمعاناة، والذي أعده الله جسديا ونفسيا وصحيا لمثل ذلك، بينما المرأة تبقى في منزلها معززة مكرمة متفرغة لواجباتها التي خلقها الله لها والتي لا تجد سعادتها بدونها.

وبهذا يزعم بعض أدعياء تحرير المرأة أن الإسلام يحيف على المرأة، ويجنح لجانب الرجل، ويحتجون لذلك بقوامة الرجل

على المرأة، ويتوهمون أن القوامة ديكتاتورية واستبداد ينتقص من المساواة التي قرنها القرآن الكريم بهذه القوامة.

أما وجوه إبطال هذه الشبهة فتتمثل فيما يلي:

- المساواة بين الرجل والمرأة - في الإسلام - تعني المساواة في الحقوق والواجبات، لافي الخصائص والقدرات.
- القوامة ليست عنوانا على أفضلية ذاتية؛ وإنما تعني الرعاية والمسئولية والقيادة، والتفاهم والشورى.
- لم يلغ الإسلام قوامة المرأة كلية؛ بل جعلها قيمة على شئون زوجها وبيتها ورعاية فلذات كبدها.

ولتفصيل ذلك نقول:

أولا: سوّى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، لا في الخصائص والقدرات:

إن المساواة المنشودة بين الرجل والمرأة لدى بعض من يسمون أنفسهم دعاة تحرير المرأة، هي أن يصب الرجال والنساء في قوالب اجتماعية واحدة؛ فيتحرك الكل بنسق واحد، وتتكافأ فيهم الأجسام والأحكام، وينطلق الكل إلى واجبات محددة واحدة، ثم يتقلب الكل في نعيم مكرر لحقوق لا تخضع لأي تنوع أو تمايز؛ بحيث تسقط من بينهم فوارق القدرات

والإمكانات، ويظهر الجميع وكأنهم أحجار مرصوفة في حجم واحد.

والتشابه التام إنما يكون في الآلات المصنوعة فحسب، أما في عالم الإنسان، فحتى الرجال فيما بينهم والنساء فيما بينهن، بل حتى الطبقة الواحدة في مجتمع الرجال، والطبقة الواحدة في مجتمع النساء، إنما يتساوون من حيث إنسانيتهم الواحدة في مبدأ تحمل الواجبات ومبدأ ممارسة الحقوق، ثم إنهم يتفاوتون - في ذلك كله - حسب اختلافهم في القدرات والملكات والاختصاص والإمكانات.

فالتساوي المبدئي ناظر إلى وحدة الإنسانية فيما بينهم جميعا، والتفاوت التطبيقي ناظر إلى الحكمة الربانية التي اقتضت بعد ذلك أن يتفاوتوا في القدرات، ويتنوعوا في الخصائص البشرية والملكات الإنسانية التي فطر الخالق كل منهما عليها جسديا ونفسيا.

ثانياً: إن من ينعتون أنفسهم اليوم بحماة حقوق المرأة، بين يدي تبريرهم لاتهام الإسلام بهضم حقوقها، وبترسيخ النظرة الدونية إليها، إنما يدورون على محور الخلط بين الأهلية الواحدة في كل من الرجل والمرأة، والعوارض المختلفة المتفاوتة في كل منهما؛ إن المساواة المطلقة التي يهتف بها عشاق المدنية الغربية، مستعصية على التطبيق في المجتمعات الإنسانية

كلها، ولو تحققت هذه المساواة الحرفية المطلقة لتفكك المجتمع، ولتناثر أفراده على ساحة واسعة ممتدة من التناكر والتدابر، ولاختفت بينهم جسور التواصل والتعاون، وسوف تزداد يقينا عندما تعلم أن منشأ ما قد تراه مظهرا لهذا التفاضل في مسألة المساواة، ما هو إلا عوارض وعوامل خارجية طارئة وليس جوهر الذكورة أو الأنوثة بأي حال.

ثالثاً: إن المساواة في الإنسانية أمر طبيعي ومطلب معقول؛ فالرجل والمرأة هما شقا الإنسانية، وشقا النفس الواحدة، أما المساواة في وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها، ولو أرادتها كل نساء الأرض وعقدت من أجلها المؤتمرات وأصدرت القرارات!

فهل في وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة أن تبدل طبائع الأشياء، فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والإرضاع؟ وهل يمكن أن تكون هناك وظيفة بيولوجية من غير تكييف نفسي وجسدي خاص؟ هل اختصاص أحد الجنسين بالحمل والرضاعة لا يستتبعه أن تكون مشاعر هذا الجنس وعواطفه وأفكاره مهيأة بطريقة خاصة لاستقبال هذا الحادث الضخم والتماشي مع مطالبه الدائمة؟

رابعاً: يجب أن يعلم الجميع بأن تعريف القوامة هو أن يقال: قام على الأمر، أي: أحسنه، والمراد بهذا تحمّل المسئولية،

فالرجال مسؤولون مكلفون أن يرعوا أهليهم ويحرسوهم ليدرؤوا عنهم الشر والأذى، وبذلك أناط الإسلام بالرجل المسؤولية عن البيت، ومن فيه من زوجة وأولاد، وليس في ذلك حيف بالمرأة أو جنوح لجانب الرجل - كما يتقول المغرضون - وحقيقة المسألة أن المراد بذلك تحقيق المصلحة ودفع الأضرار والمفاسد عن البيت ومن فيه.

ولقد اقتضت حكمة الله ألا تكلف المرأة بالإنفاق على الأسرة؛ وذلك لأنها بطبيعتها لا تستسيغ الكد وتحمل المشاق سعيا وراء المال؛ فدوام جمال المرأة ونشاطها وكبريائها يتطلب رفاهية أكثر وجهدا أقل وراحة نفسية أكبر، فلو اضطرت المرأة لأن تكون مثل الرجل في الكد والسعي والركض وراء المال فسيُجرَح كبرياؤها، وتعلو وجهها الأخاديد والتجاعيد التي تعلو وجه الرجل في العادة. وراحة المرأة وسلامتها ونشاطها وصفاء ذهنها، له قيمة كبرى في اعتدال مزاج وراحة الأسرة، وإضفاء جو السعادة في البيئة المحيطة بها، ولعل هذا هو السر الذي يكمن وراء استعداد الرجل للعمل المضني، ثم تقديم الأجر

طواعية واختيارا بكلتا يديه إلى زوجته لتنفق عن سعة هنا وهناك.[1]

إن الرجل هنا يدرك بالفطرة حاجته الروحية لتفرغ زوجته لتكون مصدر الراحة وسكون الروح: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف ١٨٩].

أما إذا كان هناك بعض الرجال اللذين استغلوا القوامة استغلالا سيئا مقصودا، أو خاطئا غير مقصود، فأساؤوا به للمرأة ماديا أو معنويا، فإن لكل قاعدة شذوذ، والشذوذ لا يؤخذ به في الأحكام و في النتائج.

ولو كان المقصود من شعار تحرير المرأة هو تحرير عقلها وإرادتها وإعطاءها حقوقها المشروعة وإفساح المجال لها لتساهم في تنمية المجتمع وجعلها تشارك في إنجازاته وإبداعاته؛ لما احتاج الأمر إلى رفع هذا الشعار، وذلك لأن المرأة العربية هي نصف المجتمع العربي، فيكفي أن يتحرر المجتمع بكامله لتكون المرأة حرة كريمة. ومن خلال تتبعنا للحركات النسائية العربية في الأقطار المجاورة نقف على أن الرائدات

---

[1] انظر الرد على الافتراءات والشبهات، موقع بيان الإسلام.

والمبرزات من النساء في هذا المجال قد جعلن المرأة الغربية قدوة ومثلاً أعلى لهن في كل شيء![1]

حيث تقول إحدى هؤلاء المعارضات لهذا الأمر الإلهي الحكيم: (أفكار الوأد الحديثة مازالت تخيّم على المجتمع، فالمرأة ممنوعة من السفر إلا بتصريح ولي الأمر، وهي ممنوعة من العمل ما لم تقدم موافقة ولي الأمر، وهي ممنوعة من الإقامة في النُزل العامة والفنادق ما لم يرافقها محرم).[2] فهل نرفض التشريع السماوي الحكيم، من أجل تجارب قاسية قد يكون مارسها البعض مع نسائهم، ونتناسى أن المرأة في كل زمان ومكان يسعدها الاستناد إلى رجل يحافظ على حقوقها، فهما متممين لنقص بعضهما وملبيين لاحتياجات بعضهما البعض، والمرأة في كل الأعمار بأمس الحاجة لرعاية الرجل وحمايته لها من المتطفلين. وليت الأمر اقتصر على بعض المعالجات الموضوعية حول قوامة الرجل على المرأة، لكان الأمر مقبولا إذا كان موجها لمن يتجاوز حدود الله ويمتهن حقوق الأنثى، ولكن الأمر تجاوز كل ذلك تجاوزا خطيرا، حيث رأى هؤلاء بأنه

---

[1] انظر كتاب: مسيرة المرأة العربية، سعد بن خلف العفنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، حائل: مطابع المعرفة، ص ١٧٥.

[2] انظر صحيفة الوطن، كتّاب اليوم، العدد ١٣٠، تاريخ ١٤٢٤/٤/٧هـ

**ليس هناك حدود لحرية المرأة، ومن يؤمن بغير ذلك فهو إنسان أو إنسانة لديهم عقد يحتاجون لعلاج نفسي.[1] فهذه هي المجاهرة بالإثم بعينها، لأنه حتى الرجل حريته لها ضوابط وارتباطات اجتماعية ودينية وإنسانية، فالحرية بلا حدود لا تكون إلا للبهائم فقط، فهي الحرية الفوضوية، لأنها بذلك تكون ضياعا للمجتمع وفسادا لأهله وانصياعا للتقليد الأعمى للانفلات الغربي.**

**يقول أحد المفكرين الإسلاميين الذين سبقونا إلى مثل هذه التجارب المريرة: (وما كان الغزو الفكري ليتسرب إلى نفوس المسلمين ولا إلى عقولهم وأفكارهم ومشاعرهم لو كانوا على إسلام صحيح، وما كان ضغط الحضارة الغربية ليجلي المسلمين الواثقين عن مواقعهم، لاسيما وهي حضارة ممسوخة في عالم القيم، على الرغم من كل التقدم العلمي والمادي والتكنولوجي الذي تشتمل عليه، وقد كان المسلمون قادرون على أن يأخذوا كل التقدم العلمي والمادي والتكنولوجي الذي يحتاجون إليه كما اخذوا من الروم والفرس أول مرة دون أن يفقدوا إسلامهم أو يتخلوا عن**

---

[1] انظر صحيفة الحياة ٢٠٠٤/٥/١٩م ، مقابلة مع إحداهن.

ذاتيتهم أو تختلط القيم والموازين في حسهم. لو كانوا على إسلام صحيح، ولكنهم لم يكونوا وبدلا من أن يصححوا للبشرية منهج حياتها، تخلوا هم عن منهجهم الرباني وراحوا يلهثون لهثا وراء الجاهلية الأوربية يستأذنوها في مذلة أن تسمح لهم باللهاث وراءها ولا تحتقرهم ولا تستصغرهم إلى أن يتمكنوا من اللحاق بهم في آخر الشوط، وذلك ما حدث في قضية تحرير المرأة)[1].

ولكن ما هو الهدف الخفي من وراء هذا الحماس الشديد لحرية المرأة السعودية؟

يتمثل لنا الهدف في مناداة هؤلاء الليبراليين والليبراليات في حصول المرأة على الحرية العبثية الفوضوية فتكون بلا رقيب أسري أو اجتماعي أو ديني، فتملك حرية السفر والانطلاق نحو الدراسة في الخارج حيث غربة الإسلام ويُتم الأخلاق، لهذا كانت مطالبتهم بإلغاء قوامة الرجل ورقابة الأسرة وضوابط التربية والأدب، فيصبح كل شيء مباحاً عندنا كما هو عندهم، والعجيب أن هناك من يرفض هذا الرأي بحجة أنه لماذا ينظر

---

[1] محمد قطب، قضية تحرير المرأة، الطبعة الأولى، الرياض دار الوطن للنشر، عام ١٤١٠هـ، ص٥٣ ـ ٥٤.

للمرأة كمثيرة للشهوات فقط؟ متناسين أن الواقع العملي للحياة يثبت هذا الرأي، فالحياة ذكر وأنثى لا يستغني أحدهما عن الآخر، فإذا ترك المجال مفتوحاً على مصراعيه فإن الشر سيغلب الخير في مثل هذه العلاقات، والدلائل على ذلك عديدة ملحوظة مهما حاولوا إخفاءها.

ورغم كل جهود المخلصين المصلحين إلا أن تضافر محاولات أولئك المتمردين والمتمردات قد أتت بنتائج سلبية عديدة، منها - كما أشار أحد الباحثين المتخصصين - ارتفاع معدلات هروب الفتيات من أهاليهن، وابتعاث بعض الفتيات للدراسة إلى أوربا وأمريكا من غير محرم وذلك من قبل بعض الجهات الحكومية. كما أنه نتيجة لوسائل الإعلام المحلية، وللقنوات الفضائية المنحرفة، وضعف التربية الدينية، بدأ التفكك الأسري في المجتمع مما نتج عنه تفلّت الفتيات من حماية الأسرة.[1]

---

[1] انظر حركة التغريب في السعودية، د. عبدالعزيز البداح، ص١٢٦/١٢٧.

## عمل المرأة في جميع الأعمال

وتستمر سلسلة مطالب التغريبيين والتغريبيات التي لا تنتهي بخصوص افتتان المرأة في بلادنا، بمطالبتهم بمزاولة المرأة جميع الأعمال، حتى التي لا تلائمها ولا تحفظ لها قيمتها الإنسانية وكرامتها كجزء من المجتمع المسلم، فهم يطالبونها بأن تمتهن المهن المهينة مثل عاملة وحاملة أثقال في محطة قطار (شيّالة)، ممثلة سينما ومسرح واستديوهات مختلطة غير مأمونة، ومحاسبة (كاشيرة) في أسواق مختلطة تسهر حتى آخر الليل، وقد استماتوا في سبيل إيصالها لمثل هذه المهن مدعين إعفافها عن السؤال والحاجة، رغم ضآلة رواتب هذه الأشغال الشاقة المشبوهة التي لفظتها حتى كرامة المرأة الغربية ذاتها.

يقول أحد العلمانيين العرب المعروفين: (إن التقدم العلمي والتقني في مستواه الحالي، ناهيك عما سيصل إليه في المستقبل، قادر على حل مشكلة الأعمال الشاقة والخطرة والقذرة والتافهة؛ بما يسمح للمرأة بمزاولتها).[1]

---

[1] هو بوعلي ياسين كما ورد في مقال صخرة الخلاص، موقع صيد الفوائد.

إذن فهذا العمل الخارجي الذي يطمح إليه هؤلاء من أجل المرأة، هو أن تعمل في الأعمال القذرة والتافهة والخطرة!! وسؤال آخر يتبع السؤال الأول: لماذا هذا الإلحاح الشديد من أجل إخراج المرأة من بيتها للعمل المجهول؟ يجيب على ذلك بعض كتاب صحافتنا بتكرار لا يملونه، يؤيدهم في ذلك بعض مسئولي وزارة العمل: (بدأت أهمية البحث عن مصادر أقل تكلفة، فجاءت فكرة استغلال إمكانات المرأة، حيث إنها أقل كلفة بالمقارنة بالعمالة الوافدة). إذن المسألة بهذا الوضوح، عملية استغلال المرأة![1]

كما يقول أحد دعاة التحرر: (أليس من التجني أن تطالب المرأة بحبس نفسها على الاعتناء بالأسرة والإخلاص في العطاء والتفاني في ذلك..؟ أليس في مثل هذا الرأي غير المنصف دافع للمرأة أن تتخلى عن فكرة الاحتباس وتسعى إلى الحصول على عمل آخر..؟). إذاً، من الظلم للمرأة أن تخلص في عطائها وتفانيها للأسرة، والواجب أن تبحث عن عمل آخر تخلص

---

[1] انظر موقع : حلول البطالة.

وتتفانى من أجله، كالسباكة والنجارة والأعمال الخطرة والقذرة والتافهة!![1]

وكأن الوطن قد حرم بناته من مزاولة أدوارهن في المجتمع وتلبية احتياجاتهن الإنسانية، ولكن في الطريق السوي، حيث وصلت المرأة السعودية لمرتبة الأستاذة الجامعية، والطبيبة المعالجة لبنات جنسها، والمعلمة والمربية الفاضلة، والكاتبة والأديبة، وما أشبه ذلك من المهن المشرفة، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة.

ورغم ذلك فإننا لا نستطيع أن ننكر ما يدفعه المجتمع من تكاليف - غير منظورة - على المدى البعيد، عدا النتائج السلبية المترتبة على خروج المرأة من منزلها وتنازلها عن وظيفتها الأهم، الأمر يدعو إلى القلق فعلا؛ فانحراف الأبناء وفقرهم العاطفي واضطرابهم النفسي؛ كل هذه أعباء إضافية يتحملها المجتمع بمرور الوقت، فما هذه المؤسسات الاجتماعية والإصلاحيات ودُور الرعاية النفسية والتربوية، بما تتطلبه من ميزانيات باهظة إلا ردة فعل لاستيعاب تلك الجموع الغفيرة من الفتيان والفتيات الفاقدين للرعاية

---

[1] موقع صيد الفوائد : مقال : صخرة الخلاص حول عمل المرأة السعودية.

الأسرية الفاعلة نتيجة انشغال الوالدين لاسيما الأم بسبب ظروف العمل ومسئولياته، فكيف به إن كان عملا شاقا مهينا يستنفد كل طاقتها؟[1]

أما آخر دندنات الليبراليين التي لا تنتهي حول أعمال المرأة التي تأخذ طابع التمرد على الدين والخلق والمجتمع، فهي مطالبتهم أن تكون المرأة لاعبة رياضية تمارس الرياضات العنيفة المختلطة، مثل مشاركتها في الأولومبيات. ولا يفهم من ذلك أننا لا نؤيد ممارسة المرأة للرياضة ولكن في منزلها أو محيطها، أو على الأقل في أمكنة محافظة غير مختلطة وبلبس ساتر محتشم حتى لو كانت بين نساء مثلها درءاً للفواحش أو الشبهات.

كما دعا الليبراليون إلى أن تشارك المرأة الرجال في رياضات الفروسية، وان تفتتح نوادي رياضية للفتيات تحت إشراف الأندية الرياضية الشبابية.[2]

---

[1] انظر مجلة البحوث الإسلامية، بحث الضوابط الشرعية لعمل المرأة، العدد ٩٦ للدكتورة جيهان الطاهر، ص ٣٤١.

[2] انظر على سبيل المثال: صحيفة الرياض: مقالة (وعي الجسد) لإحدى الكاتبات عن الرياضة النسائية، تاريخ ١٤٣٤/٢/٢هـ وقبلها صحيفة عكاظ، ت ١٤٢١/٢/٣هـ، العدد ١٢٣٠٧ حول المطالبة بأندية نسائية تابعة للأندية الرجالية المعروفة!

ويفضح نواياهم أحد الدعاة الإسلاميين الغيورين في بلادنا، حيث يرى بأن الدعوة للممارسات الرياضية الأنثوية الخارجة عن الحياء والتي ينادي بها هؤلاء الليبراليين ليست قضية صحة أبدان أو نشاط أجساد كما يدّعون ولكنه التقليد الأعمى للغرب، وفساد التصور والبعد عن الحفاظ على كيان الخلق والفضيلة والحياء الذي يزين به الجنس اللطيف، وكذلك إحداث الرياضة في مدارس البنات التي ينادون بها هي بداية لكل ذلك الانفلات والعري والانجرار لمستقبل غير محمود العواقب على الإطلاق.[1]

وبالتأكيد لا يمكننا ونحن نتحدث عن الشبهات والفتن التي أثارها الليبراليون، أن نتجاوز مناقشة شبهة كبيرة قد تودي بهذا المجتمع المسلم إلى موارد التهلكة، وهي الشبهة التي تكررت كثيرا لاسيما في السنوات الأخيرة، ألا وهي شبهة جواز تدريس المرأة للأطفال الذكور، التي هي في الحقيقة والواقع نقطة الانطلاق نحو الاختلاط ثم شيوع الفساد في المجتمع.

---

[1] خالد بن عبدالرحمن الشايع، عمل المرأة خارج بيتها بين المكاسب والمخاسر، دار بلنسية للنشر والتوزيع ١٤٢٥هـ، ص ١١٨ - ١١٩.

حيث ينادي بعض الناس بالاختلاط في المدارس للصغار بحجة أن ذلك لا يضرهم ولا يؤثر عليهم، وبحجة أن المرأة أشد لباقة وألطف تعاملا وأحسن معايشة للصغار؛ والرد على هذه الشبهة هو أن الأدلة الشرعية من القرآن والسنة على تحريم الاختلاط عديدة، ولكننا لن نسوقها هنا لأن الشبهة عندنا هي في الاختلاط للصغار الذين سيصبحون كباراً، لذا سنورد ردوداً على هذه الشبهة من التجارب الواقعية وبعض الآراء المعتبرة:

- قال الشيخ ابن باز- رحمه الله: (إن تعليم النساء للصبيان في المرحلة الابتدائية يفضي إلى الاختلاط ثم يمتد ذلك إلى المراحل الأعلى فهو فتح لباب الاختلاط في جميع المراحل بلا شك، ومعلوم ما يترتب على اختلاط التعليم من المفاسد الكثيرة والعواقب الوخيمة التي أدركها من فعل هذا النوع من التعليم في البلاد الأخرى. فكل من له أدنى علم بالأدلة الشرعية وبواقع الأمة في هذا العصر من ذوي البصيرة الإسلامية على بنينا وبناتنا يدرك ذلك بلا شك).

- إن هذه الخطوة إذا حدثت فسيتبعها خطوات، وسيتم في جميع المراحل الدراسية وبالتدريج المعروف في كل التغييرات التي حدثت في تعليم البنات حديثا كما هو الحاصل في الدول العربية التي بدأ الاختلاط فيها من الصفوف الدنيا ثم تدرج إلى مدارج الجامعات.

- إن فكرة الاختلاط في التعليم أو العمل، بين الرجال والنساء فكرة ماسونية بذورها استعمارية دخيلة على الأمة، وهي أشد ضررًا على هذه الأمة من الدعوة إلى السفور علانية والتبرج ونزع الحجاب؛ لأنها تشتمل على هذا كله وأكثر منه.

- إن الطفل يبدأ في النمو والتفتح والتطلع إلى المعرفة من السنة السادسة من عمره وهذا أمر واقع وثابت بالتجربة. أثبتت الدراسات أن التحصيل العلمي للطلاب والطالبات في المدارس غير المختلطة يفوق نظيره في المدارس المختلطة، لذا عمدت أوروبا وبريطانيا على وجه الخصوص إلى إنشاء المدارس المنفصلة واعتنت بها وأصبح روادها ممن هم حريصون على تفوق أولادهم، وأثبتت الدراسات أيضا أن مستوى التلقي يختلف بين الذكور والإناث، فعليه يجب تعليم كل منهما على حدة[1].

- أن الفتاة قد تبلغ أحيانا قبل العاشرة، قال الترمذي في سننه: أن عائشة رضي الله عنها قالت: (إذا بلغت الجارية

---

[1] المصدر: الملتقى، الشبكة النسائية العالمية.

تسع سنين فهي امرأة)[1]. وكذلك تقول الدكتورة منى رشاد - استشارية أطفال في مستشفى المواساة في الدمام: (البلوغ يبدأ عادة لدى الفتيات بعد سن التاسعة، وفي بعض الحالات يبدأ في سن الثامنة ويعد أيضاً مسألة طبيعية)، وتقول أيضاً: (البلوغ المبكر شائع أكثر لدى الفتيات مقارنة بالذكور)[2]. كما أن المراحل الأولية قد يدخلها بعض الأطفال في سن متأخرة فيكون في سن العاشرة وهو في الصف الثالث أو الرابع، أو قد تتعثر الطالبة دراسياً فتصل إلى العاشرة أو الحادية عشر وهي في الصفوف الدنيا، ووجودها وهي بالغة خطر عليها وعليهم.

- كما تراجع الغرب عن الاختلاط في المدارس بعد تردي الحالة التي وصل لها الطلاب من جرائم زنا واغتصاب وشذوذ وحمل السفاح وخاصة الفتيات صغيرات السن. ومن أمثلة ذلك ما أورده تقرير وزارة التعليم الأمريكية بأن حوالي ٤,٥ مليون ممن يدرسون في المدارس الأمريكية ما بين دار الحضانة والصف الثاني عشر يتعرضون لسوء سلوك جنسي.. ولا أحد أبدا لا المدارس ولا المحاكم ولا

---

[1] سنن الترمذي ج ٢/ ص٤٠٩.
[2] انظر: صحيفة الاقتصادية، العدد ٥٥٦٣.

الحكومة وجدت طريقة فعالة لإبعاد المدرسين المتحرشين عن فصول الدراسة![1]

- دمج الجنسين في المراحل الأولية للتعليم يجعلهم يعتبرونه هو الأصل والصحيح، ولو أحسنَّا النية في من ينادي بالدمج وأنهم صادقون في نية الفصل في المراحل المتقدمة للدراسة فإن ذلك لا معنى له لأن الطلاب والطالبات حينها سيرفضون هذا الأمر (أي منع الاختلاط) وسيعتبرونه تقييدا لحريتهم، وتخلف وتعصب لا داعي له، لأنهم نشئوا عليه ومن شب على شيء شاب عليه، ومن الصعب عليه أن يقتنع بغيره.

- يجب أن يتم التركيز على الناشئة في برامج التعليم، مع الأخذ بالاعتبار أن لكل من الجنسين خصائص نمو مختلفة ينبغي مراعاتها على حدة، وإن إغفال هذه الفروق بين البنين والبنات يؤدي إلى نتائج مدمرة؛ حيث أثبتت التجارب المتخصصة لدى الغرب أن الفروق بين الجنسين هي فروق لا يستهان بها وتؤثر تأثيراً جلياً وخطيراً على حياة الطلاب التعليمية والاجتماعية منها:

---

[1] عن الشبكة النسائية العالمية، موضوع الاختلاط في التعليم.

- القدرة السمعية متفاوتة جداً بين البنين والبنات، حيث يحتاج كل منهما إلى تردد من الصوت يختلف عن الآخر، فالمدرس للطلاب والمدرسة للطالبات، وإلا سيختل التوازن.

- إن مجرد اختلاف معدلات الهرمونات له أثره على السلوك وطريقة التعليم المتبعة مع كل جنس، فمثلاً انخفاض معدل هرمون السيروتونين، وارتفاع عمليات التمثيل أو الأيض لدى الذكور يسبب تصرفات تلقائية تدل على الملل، ولاسيما إذا حصر الطالب في مكان ضيق كدرج وكرسي، وتلك التصرفات التلقائية تسبب بالمقابل تشتيتاً لانتباه البنات.

- لاحظ المختصون في العقد الأخير وجود فروق في تشريح العين بين الجنسين؛ حيث وجد الباحثون أن كل حركة إشارة في جميع ممرات الشبكية إلى قشرة الدماغ تختلف لدى كل من الذكور والإناث، وشبكية الذكور أسمك من شبكية الإناث، لأنها تحتوي على الخلايا التي تتعرف على الحركة وهي سميكة بطبعها، أما شبكات الإناث تحتوي على الخلايا التي تتعرف على اللون واللمس وهي قليلة السمك، لذا كانت نسبة ملاحظة الأولاد للجسم المتحرك ضعفي نسبة ملاحظة البنات،

فتوصل الباحثون بذلك إلى أن الفروق بين الجنسين في الاهتمامات الاجتماعية جزء منها إحيائي الأصل، فاعتبروا يا أولي الأبصار!

- وجد الباحثون أن الأطفال الصغار، تنشأ العاطفة عندهم في المناطق أسفل القشرة الدماغية، وهي المنطقة البدائية من الدماغ، وبينما يظل مركز العاطفة كما هو لدى الذكور عندما تتقدم بهم السن نحو المراهقة، فإنه يتحرك لدى الإناث نحو جزء آخر أكثر تطورا وقدرة على الاستنباط في الدماغ: نحو قشرة الدماغ، قريباً من مركز التحكم في الكل[1].

- قولهم إن المرأة بصفتها أقدر على التعامل مع الأطفال ورعايتهم، وهي الأقدر على تعليمهم، غير صائب، فحتى الأم عندما يبلغ ابنها سن المدرسة تحتاج للأب ليتابعه تربوياً قبل كل شيء، فالولد قدوته أبوه والبنت تقلد أمها، وكلنا يجزم أن الولد يحتاج لبناء شخصية تختلف تماماً عن شخصية البنت، بينما المعلمة الأنثى

---

[1] التعليم المختلط في الصفوف الأولية نظرات علمية، الأستاذ إبراهيم بن عبدالله الأزرق، الشبكة النسائية العالمية.

**ستعامل الذكر كزميلته الأنثى، أو أنها ستتصنع الرجولة لتلقنها للذكور من طلابها، وبذلك ستخلق من طلابها وطالباتها شخصيات مشوهة (مخنثون ومسترجلات)، وهذا ما يصدقه واقعنا اليوم.**

**ختاماً:**

**وبعد أن أقر الغرب منذ سنوات بحقيقة: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى}** [آل عمران ٣٦]**، فهل يقر بذلك أقوام من بني جلدتنا ولغتنا يصرون اليوم على جعل فلذات الأكباد فئراناً لتجارب محسومة سلفاً؟!**

# قيادة المرأة السيارة

ومن آخر وأكثر القضايا التي دندن عليها الليبراليون ومازالوا يدندنون، وأثاروا فيها العديد من الشبهات والأخذ والرد، قضية قيادة المرأة السعودية للسيارة، وهي قضية أخذت أكبر من حجمها، حيث تعاضدت الليبراليات والليبراليون لتضخيم هذه المسألة وكأنها مسألة حياة أو موت، أو كأن المرأة قد انتهت جميع مشكلاتها وحصلت على كل ما تريده، لذا نراهم يضغطون على الدولة مستغلين الأوقات الحالكة التي يحتاج فيها وطننا الدعم من الجميع وليس استغلال الفرص بالضغط المشبوه.

فلننظر إلى قضية القضايا وأم المشكلات عندنا في السعودية من المنظور العلماني!! هل يا ترى هي محو الأمية؟! أم هي مشاكل التعليم الجامعي؟! أم فرص التعليم العالي؟! أم مشكلة البطالة؟! أم مشكلة الطلاق والعنوسة والتفكك الأسري؟! أم التظالم الاجتماعي؟! أم؟.. أم؟.. مع الأسف الشديد ليست هذه مشكلات للمرأة تستحق الاهتمام من قبل أولئك القوم!!، بل هناك أوليات كانت ولا تزال مؤرقة لهم، يتحدثون عنها بمناسبة وبغير مناسبة.. إنها قيادة المرأة للسيارة!! بالقوة، وبسياسة الأمر الواقع، وبطريقة مستفزة، وبدعوات سافرة لمظاهرات تُفرض قسراً على الدولة والمجتمع،

وإثارة بؤر التوتر والفتن فيه، خاصة إذا فرض ذلك على المجتمع بالقوة، وبسياسة الأمر الواقع، وبطريقة مستفزة، وبدعوات سافرة لمظاهرات تُفرض قسراً على الدولة والمجتمع.

إن تغيير المجتمع لا يفرض بمغامرة طائشة، أو بعنترية جوفاء، أو بدعوات للتمرد، أو بمماحكات إعلامية، تثير كوامن التحدي والاستقطاب الأيديولوجي، وتمزق الوحدة الفكرية والنسيج الاجتماعي. ولهذا لابد أن ننهج نهج الصراحة فنقول: إن قيادة المرأة للسيارة ليست معزولة عن بقية ملفات المرأة في مجتمعنا؛ بل هي حلقة مصطنعة من منظومة مشاريع فكرية؛ تسعى لكسر الحواجز الاجتماعية، وتهيئة بيئة مناسبة، تنطلق من خلالها الحركات النسوية؛ لخلخلة بنية المجتمع وكيانه الأسري. وأحسب أنه من السذاجة أن يستدرج بعض العلماء أو الدعاة للحديث عن الحكم الفقهي بعيداً عن أصوله وقواعده الشرعية، وسياقه الفكري والمجتمعي؛ فالمسألة أعقد من ذلك بكثير، فنحن أمام مشروع فكري، نسوي،

تغريبي، يستهدف هوية المجتمع وثقافته، وقيادة المرأة للسيارة أحد مفاتيحه المرحلية الفاعلة[1].

إن الممانعين لقيادة المرأة يدركون أن هناك مشكلات حقيقية يفرضها وجود السائق الأجنبي، ويسوؤهم ذلك كثيراً، وأرى أنه من واجبنا جميعاً أن نتعاون لدرء آثاره السلبية، لكن هل قيادة المرأة ستطوي هذا الملف؟ الواقع الخليجي في دول الجوار يكشف لنا غير ذلك، وقيادة المرأة ستفتح أبوابا من المشكلات جديدة تعمق المشكلة ولا تلغيها. ولو أننا طالبنا وزارة النقل والمواصلات بإنشاء شبكة من القطارات الداخلية والمواصلات العامة بنفس الحدة التي تطالب بقيادة المرأة، لاستطعنا أن نخفف العبء على الرجال والنساء على حدٍّ سواء.

ودعونا نكون أكثر هدوءا واتزاناً ونناقش مشكلاتنا بعقلانية ومسؤولية، بعيداً عن الانتقائية والازدواجية في الرأي، تلك الازدواجية التي تجعل بعض دعاة قيادة المرأة بنفسها، بدعوى

---

[1] مشاريع الإثارة: قيادة المرأة أنموذجاً، الشيخ : محمد بن عبدالرحمن الصويان، ت ١٤٣٢/٦/٣٠هـ.

.

الخوف من الاختلاط بالسائق الأجنبي والاختلاء به، هم أنفسهم دعاة الاختلاط في أماكن العمل، فأي موضوعية تلك التي يتشدقون بها؟!

إن قضية قيادة المرأة قضية رأي عام، والاستخفاف بالرأي العام أو تجاوزه لن يحقق هدفاً، بل سيصنع بؤرة ساخنة من بؤر التدافع الاجتماعي، ويثير الاحتقان الشعبي، والقصور في قراءة الواقع الاجتماعي، وفهم المؤثرات الحقيقية فيه، سيدخل الجميع في أزمات تهدم ولا تبني، وتفرق ولا تجمع. وقد فند بعض العقلاء الواقعيين من طلبة العلم الشرعي (الشبهات) التي أثارها الليبراليون حول قيادة المرأة للسيارة في مجتمعنا، وهي كالتالي :[1]

الشبهة الأولى: أن في قيادة المرأة للسيارة استغناء عن ألوف السائقين الذين يملئون بيوتنا، ويشكلون خطراً أخلاقياً على محارمنا، كما أنهم يستنزفون أموالنا برواتبهم.

التعليق والرد: هذه الشبهة هي أعظم شبهات المطالبين بالقيادة، وقلما تخلو أحاديثهم ومقالاتهم منها، فهم لا يملون ترديدها، وهذا الصنف عندما يطالب بالقيادة يعلم يقيناً أن

---

[1] الشيخ سليمان بن صالح الخراشي، موقع صيد الفوائد.

أهل هذه البلاد لن ينخدعوا بأقواله ما لم يستثر حميتهم على أعراضهم ويتقمص دور الغيور على أعراض المسلمين! ما دامت هذه الغيرة المصطنعة تخدم أهواءه، وإلا فالعقلاء يعلمون أن هذا الصنف من البشر هم من أبعد الناس عن الغيرة وأسبابها، تشهد بذلك أحوالهم، ولو كانت غيرتهم تلك حقيقية لرأيناها في مواقف كثيرة من حياتهم، ولكنه الخداع والتضليل. وللرد على هذه الشبهة، يُقال:

أولاً: إن العاقل لا يزيل الضرر بضرر أعظم منه، فإذا كان في ركوب المرأة لوحدها مع السائق ضرر ومفاسد، فإن في قيادتها للسيارة مفاسد أخطر وأضرار أعظم.

ثانياً: إن منع المرأة من قيادة السيارة لا يعني جواز ركوبها لوحدها مع السائق - كما قد يتوهم البعض - لأن هناك حلولاً لا يذكرها أصحاب الشبهات، وهي:

أن يتولى توصيلها محرمها، أو أن تركب هي وامرأة أو أكثر مع السائق أو معه وزوجته، ويكون هذا السائق مسلماً، كبيراً في السن، سيماه الصلاح.

وفي حال اضطرارها وعدم تمكن الحلول السابقة فإنها تركب لوحدها مع السائق [بمواصفاته السابقة] وهي متحجبة محتشمة، في المشاوير داخل نطاق المدينة.

وهذا الحل الأخير أخف ضرراً وفساداً من قيادتها للسيارة كما يشهد بذلك العقلاء؛ لأن ضرره خاص، وضرر قيادتها للسيارة عام عليها وعلى المجتمع كله.

ثالثاً: إن ادعاءهم بأن قيادة المرأة للسيارة ستقضي على وجود السائقين في البيوت غير صحيح أبداً، وواقع الدول القريبة منا يشهد بهذا، حيث قادت نساؤهم وبقي السائقون في بيوتهم!! فاجتمع الضرران. وضرر واحد خير من اجتماع ضررين. ويؤكد هذا: أن هناك من الأعمال والطلبات الكثيرة التي سببتها الحياة المعاصرة داخل البيوت ما لا يمكن لرب البيت أو للمرأة (لو قادت السيارة) تلبيته إلا بوجود سائق، والأمثلة على هذا كثيرة؛ لأن المرأة كالرجل لن ترهق نفسها بهذه المشاوير والطلبات اليومية؛ إذاً: فالسائق سيبقى؛ سواء قادت المرأة السيارة أم لم تقدها.

<u>والشبهة الثانية</u>، قالوا: إن قيادة المرأة للسيارة الأصل فيها الجواز، وقد ركبت النساء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الإبل لوحدهن ولم يُنكر عليهن.

<u>والجواب</u>، أولاً: أما قضية قيادة النساء للإبل لوحدهن زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد ضخمها أصحاب الشبهات، ولم يذكروا عليها أي دليل أو حادثة تشهد لها. بل بالعكس؛ فإن من يراجع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته

يتضح له أن النساء إما أن يركبن متسترات في الهوادج على ظهور الإبل ويقود بهن أحد الرجال من محارمهن أو من الخدم، أو يركبن رديفات لأحد محارمهن أي خلف ظهره.

ثانياً: إن بعض الأشياء تكون جائزة، لكنها تحرم لما لازمها من المفاسد، حيث ينتقل الحكم إلى التحريم، فتكون من باب "درء المفسدة"، فمثلاً: الأصل في بيع السلاح أنه جائز، لكنه يحرم إذا كان في زمن فتنة بين المسلمين؛ لأن البائع حينئذٍ كأنه يعين على قتل المسلمين بعضهم لبعض. كما أن الأصل في بيع العنب الجواز، إلا أنه يحرم إذا كان يباع على من يصنع به الخمر. وقس على هذا، فقيادة المرأة للسيارة فيها مفاسد كثيرة ملازمة لها في هذا العصر لا يمكن لعاقل تجاهلها. فهي محرمة لأجل هذه المفاسد.

الشبهة الثالثة، قولهم (المتكرر) بأن قيادة المرأة للسيارة سيكون مثل تعليمها؛ حيث عارضه البعض في بداية أمره ثم تقبلوه تدريجياً.

والجواب: شتان بين الأمرين! فتعليم المرأة المسلمة أمر رغب فيه الشرع، وجاءت فيه نصوص كثيرة تحث عليه؛ كقوله

تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر ٩]، وهو عام للرجال والنساء. والحديث المشهور: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[١] وهو يشمل المسلمات باتفاق علماء الإسلام. والذين عارضوا أمر التعليم في أول الأمر لم يعارضوه لذاته كما يتوهم البعض أو يتغافل، إنما عارضوه لأنهم خشوا أن يكون حاله كحال تعليم النساء في الدول الإسلامية الأخرى؛ حيث الاختلاط والمواد الفاسدة. فلما تيقنوا أن هذا لن يحدث، وأن التعليم سيرتبط بعلماء الشرع وسيكون مستقلاً، اطمأنوا لذلك.

فأين تعليم المرأة المسلمة التي تخرج من بيتها بحجاب كامل وبستر إلى مدرسة خاصة ببنات جنسها، مغلقة الأبواب، وعليها الحراس، وتدرس مواد مفيدة، من قيادة السيارة وما فيها من المفاسد التي سبق الحديث عنها.

الشبهة الرابعة، قالوا: إن الدول الأخرى قد قادت نساؤهم السيارة، فهل نتأخر عنهم ونبقى دونهم؟

---

[١] الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ٧٢، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

**والجواب: أن مرجعنا - ولله الحمد - في هذه البلاد إلى الحكم الشرعي، وهذا ما يميزنا عن الآخرين، ويحق لنا أن نفخر به لا أن نتذمر منه، وليس مرجعنا ما يفعله الآخرون، فهذا ليس بحجة عند الله - عز وجل - والمسلم الحق مطالب بأن يحسن إذا أحسن الناس، وأما إذا أساؤوا فإنه يتجنب إساءتهم. وأنت لو سألت عقلاء تلك البلاد التي قادت نساؤها لأجابوك بالشكوى مما وصل إليه حالهم بسبب هذا الأمر. ولا زلت أذكر قبل عامين تقريباً مقالاً نشر في جريدة الوطن الكويتية لأحد الكويتيين يطالب فيه بمنع قيادة المرأة للسيارة في بلاده، مدللاً على ذلك بالمصائب العديدة التي حدثت من جراء هذا الأمر. والسعيد من وعظ بغيره.**

**الشبهة الخامسة، قالوا: بأننا إذا سمحنا بقيادة المرأة للسيارة فسنجعل لها ضوابط شرعية! مثل أن لا تقود إلا وهي متحجبة، ولا تقود إلا في ساعات محددة من اليوم، وأن يكون سنها من ٣٥ سنة فأكثر.. وهكذا.**

**والجواب: أن هذه الشبهة يضحك منها العقلاء؛ وإلا فهل يصدق أحد أن معظم النساء ستلتزم بهذه الشروط الخيالية لو فتح هذا الباب؟! وقد قال مثل هذا غيركم (كبعض البلاد المجاورة) في أول أمرهم، ثم لم يمر وقت قصير حتى نسوا هذه**

الضوابط والشروط وأصبحت في خبر كان، والشر يبدأ صغيراً ثم لا يزال يكبر شيئا فشيئاً ما لم يُحسم منذ البداية.

الشبهة السادسة، يردد المطالبون بالقيادة بأن المسألة محسومة وأنها مجرد وقت.

والجواب: أن هذه الشبهة والترديد المتكرر لمثل هذه العبارة المقصد منه تهيئة النفوس لهذا الأمر، وترقبها لحدوثه. وهي خطة قديمة جداً لكل مطالب بأمر فيه فساد أو ضرر، وقد فعل مثل هذا مشركو قريش مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم! وسمى الله فعلهم (بالتربص) أي الانتظار، وأخبر تعالى بأن هذا التربص قد فعله المنافقون -أيضاً -، فقال عنهم: {وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ} [الحديد ١٤].

وقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم بالمثل، فكما أنهم ينتظرون حلول الفساد، فهو صلى الله عليه وسلم ومن معه ينتظرون الخير، قال تعالى: {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} [الطور ٣١]. فالواجب على المسلم أن يتربص الخير وانتشاره، وأن لا يعبأ بتربص الآخرين مهما رددوه، والعاقبة للمتقين.

الشبهة السابعة: التخلص من الضغوط الكثيرة التي تتعرض لها بلادنا من الغرب بخصوص قضية المرأة، فنرتاح من هذا الشد والتأزم الذي نعيشه!

**والجواب: أنكم بصنيعكم وتنازلكم هذا تحققون للغرب ما يريد، إضافة إلى أنكم لن تتخلصوا من ضغوطه، بل ستزداد عليكم في أمور أخرى قد لا ترضونها سياسياً لا شرعياً! وقد أخبرنا الله تعالى حقيقةً ينبغي أن لا تغيب عن أذهاننا وأن لا نحاول خداع أنفسنا بتجاهلها؛ وهي أن الغرب (اليهودي أو النصراني) لن يرضى عنا دون الكفر بالإسلام والتحول إلى اليهودية أو النصرانية - والعياذ بالله - فهل ترضون بهذا؟! قال سبحانه: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة ١٢٠]. وهذه هي سنة الله ولن تجد لسنته تبديلا[١].**

**ولو كان العلماء يرون في هذا التصرف (قيادة المرأة للسيارة) خيرا لما وقفوا ضده، ولكنهم إبراء لذممهم، ولعلمهم أنه يؤدي إلى مفاسد كثيرة وعواقب وخيمة دينية ودنيوية، مثل خلع الحياء تبعا لخلع النقاب، كما أنه سبب لتمردها وعدم قرارها في مملكتها التي هي مسئولة عن رعايتها، وطريق لمخاطر كثيرة تحيط بها في حال خلوتها في سيارتها وتنقلها إلى أماكن بعيدة وطرق مجهولة، ومرورها بمواقف هي الغاية في الحرج والمغامرة، لاسيما إذا انتشر الأمر فشاع وسط الفتيات**

---

[١] الشيخ محمد بن عبدالله الهبدان، موقع صيد الفوائد.

الصغيرات، وبالتالي تشيع الحوادث والفوضى الخلقية في المجتمع المسلم، وما حال المجتمعات السابقة عنا ببعيد.[1]

وبهذا أكون قد مررت بأهم الشبهات التي أثارها الليبراليون والليبراليات السعوديون بغرض التقليد والاتباع للغرب، أو للإيقاع بالمرأة المسلمة في هذا البلد المقدس، وقد أكون أطلت بعض الشيء في شبهة قيادة المرأة السيارة أكثر من غيرها؛ لأنها طالها أخذ ورد بين الليبراليين والليبراليات من جهة، وبين العلماء والمجتمع من جهة أخرى، وأيضا لأنها هي الإطار الذي يحوي جميع مطالب التغريبين من سفور واختلاط وتحرر بلا حدود.

وخلاصة الأمر في هذه القضايا النسائية كلها هي:

إن الحرية التي تنادي بها الدعوات الليبرالية في السعودية، هي الإباحية أي الحرية الشيطانية، وليست هي الحرية التي نادى بها الإسلام، وقد يكون بعض هؤلاء من خلط حقا بباطل، كما يوجد منهم بعض أصحاب النوايا الحسنة بيْد أنهم ضلوا الطريق، ولكننا إنما نعني الطرق التي استخدموها في تناول

---

[1] انظر كتاب المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرر، للشيخ محمد العريني، الطبعة الثانية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ٧٤ و٧٥.

**الشبهات حول المرأة باندفاع أهوج وأسلوب أخرق وتحدّ غير لائق للدين والمجتمع.**

لو كان هؤلاء الليبراليون محقّين في تعاطفهم مع المرأة، لناقشوا مشكلاتها الواقعية التي تعاني منها فعلاً، ولحاولوا إيجاد الحلول الناجعة لها، وهي في واقع الأمر مشكلات متعددة، ذكرها القرآن الكريم وأوجد لها العلاجات الفعالة، وأمر المجتمع المسلم بتنفيذها، متمثلة في المشكلات الآتية:

معاناة المرأة المطلقة، لاسيما الحاضنة للأطفال، من إهمال طليقها لها ولأطفالها، وحرمانه إياهم من أبسط حقوقهم في النفقة، لاسيما إذا كانت تلك المرأة لا دخل لها، فلابد من إيجاد حلول تنقذها من الحاجة وما يتبعها من ذل وفاقة أو وقوع في مهاوي الخطيئة، وإذا بحثنا عن الذي خصصته وزارة الشئون الاجتماعية من مساعدات مالية للمرأة المعاقة والمطلقة والأرملة التي ترعى أيتاما والمحتاجة عموما، وجدناها مجرد مبالغ رمزية لا تتلاءم مع غلاء المعيشة ومتطلبات الحياة، أو مجرد مساعدات عينية يسيرة تهبها لهم بعض الجمعيات الخيرية التي تتقوّت من تبرعات المحسنين لاسيما في مواسم الخير.

معاناة التحرش والابتزاز الجنسيين: فلم نلحظ مناقشة الكتّاب أو الصحفيين لهذه المشكلة الفادحة المحرمة، بل إننا لا نجد

كاتبة أو صحفية من هذه الفئة تناقش تلك المشكلة وتحاول إيجاد حلول لها، وهذا هو من عجائب الليبراليين، ولكن إن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن هذا الأمر لا يهمهم من قريب ولا من بعيد، لأنها تتناقض مع الذي ينادون إليه من اختلاط وسفور وتمرد وجميع ما ينشر التحرش.

كما أن هناك بعض المعاناة التي يجب رفعها عن الأنثى في مجتمعنا، تعامى عنها التغريبيون، مثل مشكلة العضل والحجر، وهما مشكلتان متشابهتان، حيث تحرم بأسبابهما المرأة من حريتها الشخصية في اختيار الزوج الملائم في الوقت الذي يناسبها، مع أن الله سبحانه قد قالها واضحة صريحة: {وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} [النساء ١٩]، ولكن جهل أو تجاهل بعض الآباء أو أولياء الأمور يجعل المرأة تعيش أسيرة لبعض تقاليد المجتمع التي ما أنزل الله بها من سلطان، وتحرم من حقها وحريتها التي حباها بها ربها.

حرمانها من حقوقها المادية: هناك مشكلة حقيقية تعاني منها المرأة في مجتمعنا، وهي تسلط بعض أولياء الأمور على المخصصات التي هي حق لها، مثل الراتب، والمهر، والإرث، وهذا من باب استضعاف المرأة، وأكل حقوقها بالباطل؛ فكم من أب استولى على مهر ابنته دون وجه حق، وكم من زوج يعتبر راتب زوجته جزءا من مستحقاته، وإذا تعاونت معه في

شراء مسكن أو سيارة فمحرّم عليها أن يسجل لها نصيب أو حق في هذا المسكن أو تلك السيارة، بل قد يطعنها في الخلف ويتزوج بمالها ضرة لها، والأفدح أنه قد يطلقها أيضا بعد كل ذلك!.

مشاكل العنف الأسري: وقد انتشرت مثل هذه المشاكل للأسف في مجتمعنا كما في المجتمعات الأخرى، وذلك للتغيرات السلبية العديدة التي أصابت المجتمع السعودي، مثل انتشار المخدرات التي دخلت بلادنا سراً من الخارج، وشيوع العلاقات الماجنة التي قد تغير الزوج على زوجته، كما أصبحت المشاكل المادية تشكل مشاكل متفاقمة ضد المرأة، والتمزق الأسري الذي يساعد على القسوة في حق الفتيات الصغيرات اليتيمات أو بنات المطلقات، وغير ذلك من أسباب سيئة كثيرة ساهم في نشرها الانفتاح الإعلامي الذي غزا جميع البيوت.

المشاكل الأخلاقية للفتيات، وهي المصائب التي تقع فيها بعض فتياتنا ولا ينتبه لها الأهل إلا بعد فوات الأوان، مثل التدخين، والإعجاب المثلي، ومعاكسات الشباب والانحراف معهم، وليست هذه مبالغات بل هي حقائق لاحظتها من خلال عملي في التدريس الجامعي، بل إن البعض منهن قد يتورطن فيما هو أفدح وهو إدمان الحبوب المخدرة، بينما الأهالي في سبات عظيم لا يشعرون بتأثير مغريات هذا الزمن المنفتح على كل

شيء، ويتوهمون أن بناتهم أفضل الشابات؛ كل ذلك وما شابهه يحتاج لإجراءات توعوية وإصلاحية ووقائية.

ومع كل تلك المظالم والمآسي، إلا أنه لا يلقي الليبراليون بالا لمثل هذه المعاناة النسائية المتكررة في بعض من البيوت السعودية، لأنها لا تخدم أهدافهم غير العادلة، أو ربما أيضا لكي تظل المرأة ضائعة محتاجة منقادة لهم ماديا وعاطفيا، وهذا مما يؤكد انتقائية التيار التغريبي وانتهازيته، فقد تعدى مناقشة هذه المظالم لأنها لا تعنيه كثيرا في السعي لتحقيق أهدافه ومراميه؛ رغم أن هذه المظالم هي التي استغلها للمطالبة بمشاريعه وبرامجه بحجة التدخل.[1]

وسلوك هذا المسلك المنحرف عن المطلوب لا يدفع نحو الإصلاح المجتمعي، بل يشتت الجهود ويصرفها عن المسلك النافع للمرأة في الوطن، ثم يدفع بها نحو الهاوية التي وقعت فيها المرأة في المجتمعات التي صادقت على رأي المتهورين.

******

---

[1] انظر: حركة التغريب في السعودية، د. عبد العزيز البداح، ص ٢٨١.

# فهرس المصادر والمراجع


١- الإصلاح رهان حضاري، د. محمود مسفر، ١٤٢٦هـ.

٢- في سبيل التغيير، مريم النعيمي، ١٤٢٧هـ.

٣- مجلة البيان، العدد ٢١٩، ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

٤- جريدة الرياض، العدد ١٤٢٢٧، بتاريخ ١٤٢٨/٥/٢١هـ.

٥- جريدة الرياض، العدد ١٤٢٤٤ بتاريخ ١٤٢٨/٦/٩هـ.

٦- جريدة الرياض، العدد ١٤١٩٩ بتاريخ ١٤٢٨/٤/٢٣هـ.

٧- جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٤٢٨/١/٣هـ الموافق ٢٠٠٧/٢/٨م.

٨- في نقد الليبرالية، د. الطيب بوعزة.

٩- الفيروس الليبرالي، سمير أمين، ترجمة سعد الطويل.

١٠- موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، د. صالح الدميجي.

١١- ألف باء الليبرالية، والشريعة الإسلامية، عادل المعلم.

١٢- حركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د. عبدالعزيز كامل.

١٣- العقلية الليبرالية بين وصف العقل ووصف النقل، عبدالعزيز الطريفي.

١٤- سلمان العودة من السجن إلى التنوير، تركي الدخيل.

١٥- عجائب الآثار في التراجم والأخيار، عبدالرحمن الجبرتي.

١٦- الأخلاق السياسية بالفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، محمد ممدوح العربي.

١٧- استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، د. باسم خفاجي.

١٨- التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٩- جريدة الوطن السعودية، العدد ٤٢٩٩، بتاريخ ١٤٣٣/٨/١٧هـ (٢٠١٢/٧/٧م).

٢٠- موقع (صوّت) الإلكتروني على الإنترنت (Suwet.Com).

**مراجع مبحث المرأة:**

**أولاً: الكتب:**

٢١- الاختلاط: تحرير وتقرير وتعقيب، تأليف وجمع: الشيخ عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي، تحميل من موقع الشيخ الطريفي.

٢٢- إعلام وأعلام: أبحاث ودراسات في الإعلام السعودي، د. عبدالرحمن الشبيلي، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ الرياض.

٢٣- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، طبع مكتبة دار السلام بالرياض.

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبعة الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ١٤٠٤ هـ.

٢٥- جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف محمد بن جرير الطبري، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

٢٦- حراسة الفضيلة، الشيخ بكر عبدالله أبو زيد، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ، نشر دار العاصمة، الرياض.

٢٧- حركة التغريب في السعودية: تغريب المرأة أنموذجا، د. عبد العزيز بن أحمد البداح، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

٢٨- حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبدالرحيم صمايل السلمي، الطبعة الأولى، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ١٤٢٠هـ.

٢٩- حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، للمؤلف حسين خلف الشيخ خزعل، طبعة بيروت، تاريخ ١٠ حزيران ١٩٦٨ م (وقف).

٣٠- قضية تحرير المرأة، محمد قطب، الطبعة الأولى، الرياض دار الوطن للنشر عام ١٤١٠هـ.

٣١- لسان العرب، لابن منظور، طبعة دار المعارف، القاهرة.

٣٢- مختصر صحيح الإمام البخاري، محمد ناصر الألباني، الطبعة ٥ عام ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٣- المرأة كيف عاملها الإسلام، والذي تمت ترجمته للغة الإنجليزية، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز.

٣٤- المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرر، للشيخ محمد العريني، الطبعة الثانية فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

٣٥- مسيرة المرأة العربية، سعد بن خلف العفنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مطابع المعرفة بمدينة حائل.

٣٦- المصحف والسيف، جمع وإعداد محيي الدين القابسي، الطبعة الثالثة، الرياض، دار الناصر للنشر والتوزيع.

٣٧- معاناة الأيدي العاملة الناعمة: عمل المرأة خارج بيتها بين المكاسب والمخاسر، خالد بن عبدالرحمن الشايع، دار بلنسية للنشر والتوزيع ١٤٢٥هـ.

٣٨- الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ، نشر مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض .

٣٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض.

٤٠- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، للمؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.

ثانيا: الصحف

٤١- صحيفة الجزيرة.

٤٢- صحيفة الحياة.

٤٣- صحيفة الرياض.

٤٤- صحيفة الشرق.

٤٥- صحيفة الشرق الأوسط.

٤٦- صحيفة عكاظ.

٤٧- صحيفة المدينة.

٤٨- صحيفة الوطن.

**ثالثا: المواقع الإلكترونية**

٤٩- موقع بيان الإسلام.

٥٠- موقع صيد الفوائد.

٥١- موقع الشبكة النسائية العالمية.

٥٢- موقع الإسلام ويب.

٥٣- موقع الألوكة الأدبية واللغوية.

٥٤- موقع المحمل.

٥٥- موقع بطالة.

٥٦- منتديات حراس العقيدة.